جامعة السودان للعلوم التكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية اللغات– قسم اللغة العربية

السبك النحوي وأثره في الترابط النصي (دراسة تطبيقية على معاهدة الحديبية)

Syntactic Cohesion and lts Effect in Intertextual Coherence

(Applied Study to Treaty of Hudaybiyah)

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

تخصص : الدراسات اللغوية والنحوية

إعداد الدارس

عثمان معلى آدم حامد

إشراف الدكتور

عثمان إبراهيم يحيى إدريس

2017م – 1439هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى: ((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيد)). سورة فصلت الآية44.

إهــداء

إلى أمــي وأبـي

إلى أخـواني وأخـواتي

إلى أهـلـي وعشـيرتـي

إلى أسـاتـذتـي الأجـــلاء

إلى زمــلائـي وزميـلاتــي

إلى طــلاب الـعـلـم فـي مـشـارق الأرض ومـغـاربـها

أهــدي هـذا الـجهد الـمتـواضـع.

شـكر وعـرفان

أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان

لكل من ساهم في إخراج هذه الدراسة

وأخص بالشكر

الدكتور/ عثمان إبراهيم يحيى

الذي تكرم بإشرافه على هذه الدراسة

كما أشكر جميع أساتذتي

في قسم اللغة العربية بكلية اللغات

وأسرة مكتبات جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

وأسرة جامعة غرب كردفان، لما قدموه لي من مساعدة

فجزاهم الله عني خير الجزاء وجعل هذه الدراسة خالصةً لوجهه الكريم.

فهرس الموضوعات

المحتويات	الصفحات
بسملة	أ
استهلال	ب
إهداء	ج
شكر وعرفان	د
فهرس الموضوعات	هـ
مستخلص	و
مقدمة	ز
الفصل الأوّل: علم النص المفهوم والنشأة	
المبحث الأوّل: مفهوم علم النص	1
المبحث الثاني: نشأة علم النص	8
الفصل الثاني: معايير الترابط النصي	
المبحث الأول: الاتساق والانسجام المقصدية	13
المبحث الثاني: المقبولية والسياق والتناص	21
الفصل الثالث: السبك النحوي في معاهدة الحديبية	
المبحث الأول: الحذف والإحالة في معاهدة الحديبية	30
المبحث الثاني: الربط والاستبدال في معاهدة الحديبية	46
الخاتمة	56
فهرس الآيات	58
فهرس الأحاديث	59
فهرس الأشعار	60
المصادر والمراجع	61
المقالات والبحوث الجامعية	65

مستخلص

جاءت الدراسة بعنوان: السبك النحوي وأثره في الترابط النصي (دراسة تطبيقية على معاهدة الحديبية) وهدفت إلى استثمار نظرية علم النص وتطبيقاته من خلال ظاهرة الاتساق "السبك" ؛ دعماً للدراسات الأسلوبية وخدمةً للغة العربية وإثراءً للبحث في الدراسات التطبيقية التي لايزال البحث فيها شحيحاً، وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الذي فرضته طبيعة الموضوع مستعيناً بأداتي التحليل والإحصاء، وخرجت هذه الدراسة بجملة من النتائج أهمها: أنَّ هناك اختلافاً كبيراً في تحديد مفهوم النص حيث اكتسى دلالات مختلفة نتيجة لتعدد الاتجاهات، والنظريات، والمدارس اللسانية مما أدَّى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنص يجتمعون عليه، وأنَّ معاهدة الحديبية على الرغم من قصرها استوعبت كافة أشكال الربط النحوي، أو السبك النحوي مما يثبت صحة نظرية علم النص وشرعيتها، وأوصت الدراسة بتوجيه دراسات علم النص التطبيقية نحو النص النبوي، لخدمة القضايا التاريخية، والسياسية، والاجتماعية المهمة من خلال تحليلها، واستقرائها واستنباط المدلولات التي يتوصل إليها التحليل النصي، كما أوصت بتطبيق جميع أدوات الترابط النصي السبعة على هذه المعاهدة وصولا إلى نتائج أكثر في هذا المجال.

Abstract

This study entitled: the effect of syntactic cohesion in intertextual coherence as applied study to Treaty of Hudaybiyah. It aimed to illustrate ability of text theory and its applications in terms of cohesion phenomena to describe phenomena of intertextual coherence, as well as its containment to all patterns. Moreover, it targeted to make use of text theory and its applications in terms of cohesion in support of stylistic studies, server Arabic language, and applied studies which remain requiring more investigation. For the purpose of this study, descriptive method has been employed in addition to utilization of analysis and statistics. A number of results were found out by the study; the most important ones were: there is great difference in specifying concept of text where it acquires different connotations due to multiplicity of trends and theories and schools of linguistics which reflect in contradiction of scholars of text in defining concept of text. Albeit little content of Treaty of Hudaybiyah, it was able to contain all types of syntactic cohesion which prove validity of text theory. The study recommended orienting applied studies of text science towards prophetical text to serve essential historical, political and social issues through analysis, collection and deduction of denotations that approached by text analysis. Likewise, it recommended applying all seven tools of intertextual coherence to this treaty in order to obtain more results in this respect.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد، فإنّ الدرس اللغوي المعاصر أثبت أثر نظرية علم النص في تمكين الدراسات اللغوية من المنهج التجريبي القائم على المنطق، كما أنها فتحت اللغة على كثير من العلوم الإنسانية، والتطبيقية القديمة والحديثة، فقد كانت ثورة المنهج عند علماء النص متمثلة في التحوّل من نحو الجملة إلى نحو النص، إذ إنّ كل متتالية من الجمل تشكل ـ عندهم ـ نصّاً على أن يكون بين متوالية هذه الجمل علاقات، فالنص اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير تخلق له النصّية وهي: (السبك، الحبك، المقصدية، والإخبارية، والمقبولية، المقامية، والتناص) وأكثر هذه المعايير شيوعاً هي: (السبك، والحبك، والمقصدية)؛ لذلك اختار الباحث تطبيق السبك النحوي في هذه المعاهدة باعتباره أحد أهم هذه المعايير، ولِما له من أهميّة في بناء النص حيث يعمل على الربط النصي على مستوى البنية السطحية، فهو مجموعة من البنى الدلالية والتركيبية التي تربط الجمل على نحو مباشر؛ لذا يعد السبك جزءاً من النظام اللغوي ؛ بسبب دوره المهم في عمليات فهم النص وتفسيره.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في كونها تجاوب عن السؤال المركب الآتي:

ما السبك النحوي؟ وما أثره في التماسك النصي في معاهدة الحديبية؟

أسباب اختيار الموضوع:

1- الرغبة الملحّة في التعرف أكثر على هذا العلم الجديد.

2- تطبيق ما جاء به على معاهدة سياسية؛ وذلك بالبحث في اتساقها للوصول إلى انسجامها الشكلي.

3- بيان قدرة نظرية علم النص من خلال ظاهرة الاتساق على وصف الترابط النصي وشمولها لأنماطه.

أهمية الدراسة:

1- جسر الهوة بين الدراسات النظرية والتطبيقية في علم لغة النص.

2- إثراء البحث في الدراسات النصية.

3- توجيه الباحثين إلى الدراسات التطبيقية.

أهداف الدراسة:

1- تسليط الضوء على معاهدة الحديبية.

2- بيان السبك النحوي ومكانته في الدرس النصي.

3- بيان دور الاستبدال النحوي في نص معاهدة الحديبية.

4- الوقوف على صور الحذف في نص معاهدة الحديبية.

منهج الدراسة:

اتَّبعت الدرسة المنهج الوصفي التحليلي.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية لهذه الدراسة هي معاهدة الحديبية.

أسئلة الدراسة:

1- ما الإحالة؟ وما دورها في ترابط نص معاهدة الحديبية؟

2- ما الحذف وكيف تجلى في نص معاهدة الحديبية؟

3- هل للاستبدال دور في سبك نص معاهدة الحديبية؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث في مكتبات الجامعات وجدت دراسة واحدة تناولت الترابط النصي في المعاهدات النبوية بعنوان: (الترابط النصي في الخطاب السياسي "المعاهدات النبوية أنموذجاً")، لسالم بن محمد المنظري، والذي يريد الباحث إضافته إلى هذه الدراسة هو إفراد معاهدة الحديبية بالدراسة للوقوف على اتساقها وتماسكها إثراءً للمكتبة السودانية وتنبيه الباحثين إلى البحث في النص النبوي في إطار علم النص، كما وجدت دراسات غير مباشرة تناولت السبك النحوي الذي هو ضمن أدوات الترابط الشكلي نذكر منها:

1- دراسة محمود سليمان حسين، بعنوان: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص (دراسة نصية من خلال سورة يوسف)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 2008م.

تلتقي مع الدراسة الحالية، في أنَّ كل منهما تحدَّث عن الاتساق إلا أنَّ الأخيرة تناولت السبك النحوي، والأولى تناولت السبك النحوي والمعجمي معاً، وقد استفادت منها الدراسة في تتبع ظاهرة الاتساق في معاهدة الحديبية.

2- دراسة هناء دادة موسى، بعنوان: (الاتساق والانسجام ومظاهرهما في قصيدة "بطاقة هوية" لمحمود درويش)، جامعة قاصدي محمد مرباح ورقلة، الجزائر، رسالة ماجستير 2014م.

وتلتقي هذه الدراسة مع الدراسة ـ موضوع الدراسة ـ في كونها تحدثت عن الإحالة والحذف اللذين يعتبران من أهم وسائل السبك النحوي عند أغلب علماء النص مما أفادت كثيراً في تتبع هاتين الظاهرتين في نص معاهدة الحديبية.

3- دراسة عيدة مسبل العمري، بعنوان: (الترابط النصي في رواية " النداء الخالد" لنجيب الكيلاني)، دراسة تطيقية في ضوء لسانيات النص، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، وقد استفادت منها الدراسة في تطبيق وسائل السبك النحوي في معاهدة الحديبية.

4- دراسة سهام أولاد سالم، بعنوان: (اسلوب التوكيد ودوره في التماسك النصي، "سورة المؤمنون انموذجاً")، رسالة ماجستير.

5- دراسة أحمد عبد المعطي حجازي، بعنوان: (عناصر الاتساق والانسجام النصي، قراءة نصية تحليلية قصيدة "لشهر أيار")،

وقد استفادت الدرسة من الدراستين الأخيرتين في طريقة أحصاء الضمائر وأدوات الربط وتحليلها.

هيكل الدراسة:

الفصل الأوَّل: مفهوم علم النص ونشأته.

المبحث الأوَّل: مفهوم علم النص.

المبحث الثاني: نشأة علم النص.

الفصل الثاني: مجالات علم النص.

المبحث الأوَّل: الاتساق والانسجام والمقصدية.

المبحث الثاني: المقبولية والسياق والتناص.

الفصل الثالث: السبك النحوي في معاهدة الحديبية.

المبحث الأوَّل: الإحالة والحذف في معاهدة الحديبية.

المبحث الثاني: الربط والاستبدال في معاهدة الحديبية.

الباحث

الفصل الأوَل : علم النص المفهوم والنشأة

المبحث الأوَّل : مفهوم علم النص

المبحث الثاني : نشأة علم النص

المبحث الأول

مفهوم النص

أولاً- النص لغةً:

لا بدَّ لنا ونحن نباشر تعريف النص من أن نبدأ بتدبر المفهوم اللُّغوي لهذا المصطلح وهو ما قد نستمد منه بعض المؤشرات التي يمكن أن تضيء لنا دروب الاهتداء إلى تعريف النص على المستوى الاصطلاحي، كما أنَّ من شأن ذلك أيضاً أن يجعلنا نؤصّل لهذا المفهوم، ونكون عنه فكرة عامة وشاملة قبل الدخول في تشعباته وتعقيداته الناتجة عن تعدد الرؤى والمنطلقات والغايات، ولكلمة نص في المعاجم والكتب اللُّغوية دلالات كثيرة ومتعددة، سنكتفي منها بذكر ما يخدم هدفنا، وهو الوقوف على معنى النص بالمفهوم الحديث لهذا المصطلح.

1- النص في لسان العرب: ((هو رفعك الشيء، ونصّ الحديث ينصَّه نصَّاً: رفعه وكل ما أظهر فقد نص... ونصَّت الظبية جيدها: رفعته، ووُضع على المنصَّة: أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصَّة ما تظهر عليه العروس لتُرى))، وجاء فيه أيضا: ((نصصت المتاع إذا جعلت بعضه على بعضٍ، وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ونصُّ كل شيء منتهاه))[1]، كما أنَّ النص يراد به أيضاً ((صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلِّف)).2

ويتضح ممّا ورد أنَّ للنص معانٍ تدور حول المحاور الآتية:

أ- الرفع (إشارة إلى رفع الكاتب نصّه حتى يفهمه المتلقي).

ب-الإظهار (إشارة إلى إظهار الكاتب نصَّه وتجليته بوضوح حتى يفهمه المتلقي أيضاً).

ج- ضم الشيء إلى الشيء (إشارة إلى الاتساق والتراصّ الحاصل بين أجزاء النص).

د- أقصى الشيء ومنتهاه (إشارة إلى أنَّ النص أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها).

2- النص في المعجم الفرنسي (فهو مأخوذ من مادة (Texte) التي تعني النسيج، كما تطلق كلمة (Texte)على الكتاب المقدس... كما تعني منذ العصر الإمبراطوري ترابط حكاية أو

---

[1]- (ابن منظور) محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ط4، دار صادر، بيروت، 2005م، مادة (نصص).

[2]- إبراهيم أنيس، وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005م، مادة (نصص).

نص... والنصّ منظومة عناصر من اللغة أو العلاقات، وهي تشكل مادة مكتوبة إنتاجاً شفهياً أو كتابياً.[1]

نلحظ من مادة (Texte) أنَّ معناها الأوَّل كان يطلق على النسيج المادي الصناعي ثم انتقل إلى النص؛ لأنّ النصَّ نسيجٌ من الكلمات يرتبط بعضها ببعض وهذا الربط الذي يحدث في النص هو بمثابة خيوط النسيج تربط أوَّل النص بآخره، فتجمع بذلك عناصره المختلفة والمتباعدة لتكوّن بذلك وحدة متكاملة، ويفترض هذا أنَّه إذا لم تكن هذه الألفاظ والجمل محكمة الترابط لم تعد هذا نصاً.

ويذهب الأزهر الزناد إلى أنَّه يتوفر في مصطلح (نص) في العربية كذلك في مقابلة اللغات الأعجمية (Texte) معنى النسيج، فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد، هو ما نطلق عليه مصطلح (نص).[2]

فما هو ملاحظ أنَّ المعنى المعجمي لمصطلح النص في اللغة العربية واللاتينية يغترب بعضه من بعض ويكاد يكون تعريفاً واحداً، إلّا أنَّه في التعريف اللاتيني أقرب من التماسك النصي الذي تنادي به لسانيات النص.

ثانياً- النص اصطلاحاً:

لقد تنوعت تعريفات النص الاصطلاحية وتعدّدت بتعدُّد المدارس والاتجاهات اللسانية، هذا ما أدَّى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنص يجتمعون عليه؛ لذلك لابدَّ أن نتطرَّق لبعض تعريفاته، لقصد تقريب مفهومه إلى الأذهان محاولين تقديم أهم التعريفات التي جاء بها بعض الدارسين سواء العرب منهم أو الغربيين، كما سنرى هذا الاختلاف الكبير بين الباحثين في تعريف مصطلح النص إلى درجة عدم الاتّفاق حول تعريف معين، بل التناقض أحياناً.

أ- مفهوم النص في الدراسات اللغوية العربية:

من تعريفات النص التي جاءت في الدراسات العربية الحديثة ما قال به عبد الرحمن طه بأنَّه: ((كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات))[1].

---

[1]- محمود بوستة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، بحث ماجستير – الجزائر، 2008م – 2009م، ص15.

[2]- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص14.

كما عرَّفه نور الدين السد في كتابه " الإسلوبية وتحليل الخطاب" إلى أنَّ النص ((ليس مجموعة جمل فقط؛ لأنَّ النص يمكن أن يكون منطوقاً أو مكتوباً نثراً أو شعراً حواراً أو منلوجاً، يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتَّى مسرحيَّة بأكملها من نداء أو استغاثة حتَّى مجموعة مناقشة الحاصلة طوال يوم في هيئة))، ثم يذهب بعد ذلك إلى أنَّ النصية هي التي تميز النص من اللاّنص فيقول: (النصيَّة تحقق للنص وحدته الشاملة، ولكي تكون لأي نص نصيته ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، إذ تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة)[2].

أمَّا مفهوم النص عند عبد الملك مرتاض فإنَّه من حيث الشكل لا يحدد مرتاض النص من خلال كمّه أي من خلال الجّملة أو مجموعة الجُمل داخل النص، فهو يرى أنَّ النص: (لا ينبغي أن يحدَّد بمفهوم الجملة ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى لمجموعة من الجّمل، فقد يتصادف أن تكون الجملة واحدة من الكلام نصَّاً قائماً بذاته مستقلاً بنفسه وذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبيَّة كالأمثال الشعبية والألغاز والحكم السائرة والأحاديث النبويَّة التي تجري مجرى الأحكام وغيرها)[3].

ويُعرّف النص بأنَّه: ((عالم ضخم متشعب متشابك معقَّد، رسالته مبتدعة تنتهي لدى الفراغ من تدبيجه فهو لا يرافقه إلَّا في لحظة المخاض، أو لحظة الصّفر))، كما يطلق عليها "رولان بارت"[4]

ويذهب صبحي إبراهيم الفقي في كتابه (علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق) إلى تعريف النص بأنَّه: ((حدث تواصلي يلزم لكونه نصَّاً أن تتوفر له سبعة معايير هي: السبك، الحبك، القصد، المقبولية، الإخبارية، المقامية، التناص))[5].

وما هو معروف من هذا التعريف الذي يتبناه " الفقي " أنَّه تعريف شامل لا يلغي أحد أطراف الحدث الكلامي في التحليل، إذ أنَّه جمع بين المرسِل للرسالة ومتلقّيها وكذلك السياق بالإضافة

---

[1]- عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط2، 2000م ص35.

[2]- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ج2، ب ط 1997م، ص69.

[3]- عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ب ط، 1983م، ص42.

4 - فيلسوف وناقد أدبي، ودلالي، ولد سنة 1915م، وتوفي سنة 1980م.

[5]- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة ط 1، 2000م، ج1، ص50.

إلى أدوات الربط اللُّغوية، إذ أنَّ كل هذه العناصر النصيَّة كانت محل اهتمام في التحليل النصّي لديه، ومما هو ملاحظ عليه أنّه لايعطي عنصراً اهتماماً أكثر على حساب العناصر الأخرى بل يساوي بين كافة عناصر التحليل النصي.

ب- **مفهوم النص في الدراسات اللغوية الغربية:**

يختلف مفهوم النص عند الباحثين واللّسانيين في الغرب شأنه في ذلك شأن الاختلاف الموجود عند العرب ومن التَّعريفات ذات الاتّجاه البنيوي أنَّ النص عبارة عن ((بناء لمعنى مأخوذ من معجم ليس لمفرداته معانٍ خارج البناء الذي يضمنها))[1].

وتُحدّد "جوليا كرستيفا"[2] النص على أنَّه: ((جهاز غير لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملحوظات السابقة عليه والمتزامنة معه))[3]. ويبدو أنَّ "كرستيفا" تنطلق من مفهوم التناص في تحديد مفهوم النص، أي ينظر إلى النص من حيث إنتاجه كنص يتعالق مع نصوص أخرى.

أمَّا عند الرجوع إلى المنطلقات اللّسانية في تعريف النص خصوصاً تلك التي تأخذ من لسانيات النص منهجاً في تعريفاتها، فنجد" كلاوس برينكر " يذهب إلى أنَّ النص: ((تتابع متماسك من علامات لُغوية أو مركبات من علامات لُغوية لا تدخل تحت أيَّة وحدة لُغوية أخرى أشمل))[4]. ويرى برينكر أنَّ تعريفات النص المختلفة قد انطلقت من اتجاهين:

الأول: يقوم على أساس النظام اللُّغوي، وقد اعتمدت معظم التعريفات فيه إلى حدٍ بعيد على تحديدات علم لغة الجملة ذات الأصل البنيوي أو التوليدي التحويلي، إذ يظهر النص كتتابع متماسك من الجمل.

الثاني: يقوم على أساس نظرية التواصل، فيعرِّف النص بوصفه فعلاً لغوياً معقداً يحاول المتكلّم به أو كاتبه أن ينشئ علاقة تواصلية معيَّنة مع السامع والقارئ[5]، وقد اقترح برينكر في

---

[1]- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ب ط، 1998م، ص160.

[2]- هي أديبة، وعالمة لسانيات، ومحللة نفسية، فرنسية من أصل بلغاري وأستاذة في جامعة باريس.

[3]- جوليا كرستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1997م، ص21 .

[4]- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م، ص28.

[5]- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي النصي، تر: سعيد بحيري ، مؤسسة المختار، القاهرة ، ط1، 2005م، ص22 و26.

نهاية عرضه للاتّجاهين مفهوماً يجمع ويدمج الجانبين اللُّغوي البنيوي والتواصلي السياقي، فيعرف النص على أنَّه: (وحدة لغوية تواصلية في الوقت نفسه[1]).

أمَّا هاليداي"[2] Halliday " ورقية حسن " Rogaiya Hassan " فقد أشارا إلى أنَّ كلمة "نص" تستخدم في علم اللُّغويات لتشير إلى أيّ فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طرحها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة)[3]

ويذهب هارفج "Hawg" إلى أنَّ النص عبارة عن: (ترابط مستمر للاستدلالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص)، وهناك من ينظر إلى النص على أنَّه كم أو مجموعات من الإشارات التواصلية التي تحقق العملية التواصلية بين منشئ النص ومتلقيه ولعلَّ تعريف شميث[4] "Shmath" للنص يؤكّد هذا المفهوم إذ يقول: ((النص جزء حُدّد موضوعياً (محورياً) من خلال حدث اتّصالي ذي وظيفة اتّصالية إنجازية))[5].

فهو هنا اشترط وحدة الموضوع الذي يتمحور حوله النص، وأيضاً وحدة مقصده، ويكون قد تشكّل لأداء هدف معين، وهناك تعريفات كثيرة لم تذكر واقتصرت على بعضها خشية الإطالة.

ج- تعريف علم النص:

يطلق على هذا العلم في اللغة الإنجليزية "texts grammer" وفي الفرنسية "grammer de Text" وفي العربية عبَّر عنه المترجمون بتسميات مختلفة منها: نحو النص، نحو النصوص، وعلم النص، وعلم لغة النص، وعلم اللغة النصّي، ولسانيات النص، ولُغويات النص، وأجرومية النصوص.

ويلحظ أنَّ الاضطراب يشوب هذه التسميات العربية، ولعلَّ السبب في ذلك هو عدم استقرار هذا المصطلح؛ فقد عُبّر عنه في الإنجليزية سابقاً بـ"linguistics of Text linguistics"

---

[1]- المرجع السابق، ص26.

[2]- هو مايكل هاليداي، كاتب، وأكاديمي، وعالم لغوي، إيرلندياً، ولد في 13 أبريل 1925م، بالمملكة المتحدة.

[3]- أحمد عفيفي، ص22.

[4] - مفكر، وعالم لغوي ألماني ، ولد سنة 1888م، أستاذ في جامعة برلين.

[5]- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية للترجمات، الجيزة، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ط1، 1997م، ص108.

"textue" إلى أن أصبح " grammare " أكثر دوراناً وقبولاً كما أنَّ الترجمة لها أثر مباشر في إحداث هذا الاضطّراب كما يرى الراودي[1].

وقد ترجم فالج العجمي مصطلح " lingustik " في ترجمته لكتاب " فولفجانج " wolfgang و" فهيجر " vehager إلى علم اللُّغة النصي في حين ترجم سعيد بحيري المصطلح في السياق نفسه إلى علم النص وكذلك الحال بالنسبة لمصطلحات هذا العلم الأخرى فقد أورد بحيري جملة الاختلافات في الترجمة كمصطلح kollokation الذي ترجمه " فالج " إلى (التساوق) و" بحيري " إلى (التلازم) وترجمه تمام حسان إلى (التضام)[2].

ويرى صلاح فضل أنَّ الترجمة الأنسب لهذا العلم في العربية هي علم النص؛ وذلك لأنَّ النص يطمح إلى شيء أكثر عمومية وشمولاً، وهو من ناحية يشير إلى جميع النصوص وأنماطها في السياقات المختلفة، كما أنَّه يتضمن جملة من الإجراءات الوصفية والنظرية والتطبيقية ذات طابع علمي محدَّد [3].

وقد تعددت تعريفات هذا العلم إلى عدة آراء منها:

1- تعريف كرستال "Crysta" الذي يعرّفه بأنَّه: ((الدراسة النقدية لبنية النصوص))، ويذكر أنَّ تحليل الخطاب "discours analysis" يرتبط باللغة المنطوقة بينما تحليل النص text Analysis يرتبط باللغة المكتوبة، لكنه أكَّد أنَّ كِلا التحليلين يشملان كل الوحدات اللغوية المنطوقة أو المكتوبة مع تحديد الوظيفة التواصلية.

مما سبق نلحظ أنَّ هذا التعريف أكَّد على بنية النصوص التي تدل على اتساقها وأكَّد على المنطوق والمكتوب والاتصال، إلَّا أنَّه أغفل الانسجام الدلالي القائم بين أجزاء النص.

2- عرَّفه نيلس "Nils" بأنَّه: ((دراسة الأدوات اللُّغوية للتماسك النصي، الشكلي والدلالي، مع التأكيد على ضرورة وجود خلفية لدى المتلقي عند تحليل النص)).

---

[1]- زاهر بن مرهون الراودي، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان 2010م،ة ص23.

[2]- فولفجانج هاينة مان، وديتر فيهيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: سعيد بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص40.

[3]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 2004م، ص294.

نلحظ من هذا التعريف أيضاً أنَّه ركَّز على اتساق النص وانسجامه إلَّا أنَّه استخدم لفظ ((الشكلي) بمعنى الاتساق و"الدلالي" بمعنى الانسجام، كما أضاف التعريف ما يعني ((أنَّه من الضروري أن يكون محلّل النص عارفاً بالنص المدروس ومدركاً لمقاصده وثقافته حتى يقوده ذلك إلى صواب التحليل))[1].

3- تعريف ريتشارد "Richard" ((هوفرع من فروع علم اللُّغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة، وهذه الدراسة تؤكّد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد)).

4- تعريف دكتور صبحي الفقي: ((هو ذلك الفرع من فروع علم اللُّغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللُّغوية الكبرى وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها التَّرابط والتماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة أو المرجعية، وأنواعها، والسياق النصّي، ودور المشاركين في النص المنطوق والمكتوب على حدّ سواء))[2].

من خلال التعريفات السابقة نلاحظ أنَّ علم النص هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة النص الأدبي منطوقاً كان أو مكتوباً وتحليله وإظهار ما فيه من تماسك وتناسق.

---

[1]- سالم بن محمد المنظري، الترابط النصي في الخطاب السياسي، دراسة في المعاهدات النبوية، ط1، بيت الغشام للنشر والترجمة، عمان، مسقط، ص27 و28.

[2]- صبحي إبراهيم الفقي، ص36.

المبحث الثاني

نشأة علم النص

ظهر في نهاية الستّينيات من القرن العشرين منهج لساني يسمّيه بعض اللغويين " نحو النص ويسميه البعض الآخر " اللسانيات النصيَّه "، ويتكفَّل هذا المنهج بدراسة بنية النصوص وكيفيات اشتغالها؛ وذلك من منطلق مسلّمة منطقية تقتضي بأنَّ النص ليس مجرَّد تتابع مجموعة من الجّمل، وإنَّما هو وحدة لغوية نوعية "unite linguistique specifique " ميزتها الأساسية الاتساق والترابط.

وليست اللسانيات النصيَّة ـ كما قد يُعتقد ـ مكمّلاً للسانيات الجملة أو توسيعاً لمجالها ليشمل مستوى أعلى وبنفس وسائل الدراسة والتحليل، وإنَّما هي إعادة بناء اللسانيات من منطلق جديد موضوعه الوحدة الطبيعية للتعامل اللُّغوي بين المتكلّمين هي " النص " مع الإشارة إلى أنَّ المقصود بهذه الكلمة ليس ذلك المفهوم المبسَّط الذي ألفناه في كلامنا العادي، من أنَّ النص ملفوظ من حجم معين مكتوب أو مطبوع، وإنَّما المقصود هو كل فعل تواصلي لغوي، كتابياً كان أم شفوياً[1].

1-علم النص عند العرب:

حينما نبحث في التراث العربي القديم نجد أنَّ فيه ما يدلُّ على اهتمام علماء العربية القدامى اللغويين والبلاغيين، والمفسرين، والنقاد بدراسة النص، وأهمية التزام النص بالمعايير الصحيحة التي تحافظ على نصيّته، من غير أن يعنوا بتأطير ذلك في شكل نظرية خاصَّة بالنص، ووضع قواعده، وتحديد مباحثه وطريقة تحليله كما فعل علماء الغرب اليوم حينما تبنَّوا هذه الرؤية، وفيما يأتي يمكن إدراج بعض ما يؤكّد اهتمام القدامى بدراسة النص وذلك في الأمثلة الآتية:

أ- وردت مقولة في كتاب "سيبويه " في باب الاستقامة من الكلام والإحالة وهي ((فمنه – أي الكلام – مستقيم حسن، ومستقيم محال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال

[1]- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 2008م، ص59.

كذب، فأمَّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غداً، وأمَّا المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وأكلت ماء البحر ونحوه، وأمَّا المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً يأتيك، وكي زيداً يأتيك، ونحوه، وأمَّا المحال الكذب، فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس))[1].

نلحظ في النص عدم الاقتصار على النواحي التركيبية والإعراب في معالجة اللغة، بل يتعدَّى ذلك إلى النواحي الدلالية، وكذلك اهتمامه بالاتصال من حيث مناسبة اللفظ للسياق الخارجي وإتقانه مع الواقع كذلك تعريجه على عنصر المقبولية الذي يدلُّ على مدى قبول المتلقي لرسالة النص[2].

ب–أورد الجاحظ في بعض أخبار " البيان والتّبيين " ما يشير إلى معيار الانسجام في علم النص وهو ترابط الكلمات دلالياً، فقد قال بعض الشعراء لصاحبه: ((أنا أشعر منك، قال: ولِمَ؟ قال: لانّي أقول البيت وأخاه، وتقول البيت وابن عمّه)، وقال عبيد الله بن سالم لرؤبة: ((مت يا أبا الجحاف إذا شئت، قال: وكيف ذلك؟ قال: رأيت اليوم عقبة ابن رؤبة ينشد شعراً له أعجبني، فقال رؤبة: نعم إنَّه ليقول ولكن ليس لشعره قران)) أي: قران المعاني المتناسبة في النص الواحد، وهو الانسجام؛ وفي هذا السياق، يروي " الجاحظ " بيتاً عن أبي العاصي أنشده إياه خلف الأحمر وهو:

وبعض قريض القوم أولاد علةٍ *** يكدُّ لسانَ الناطقِ المتحفظِ

فيقصد بـ(أولاد علةَ) أنَّ شعرهم كأولاد العلات لما بينهم من الاختلاف والتنافر وعدم الاتّفاق، وهذه إشارةٌ واضحةٌ لقصد اتساق النص الشعري، وتضام أجزائه على بعضها، وهو اهتمام علم النص اليوم؛ كما أنَّ الجاحظ أشار إلى مفهوم الترابط الصوتي في أثناء حديثه عن تنافر الألفاظ في البيت الشعري الواحد كقول الشاعر:

وقبر حربٍ بمكان قفرٍ *** وليس قرب قبرِ حربٍ قبر

---

[1]- (سيبويه)، عمرو ابن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ص25 . 26.

[2]- خليل ابن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص36 . 37.

فاجتماع هذه الألفاظ المتنافرة يصعب إنشادها إلّا باستكراه، وأجود الشّعر عند " الجاحظ " مارآه ((متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيعلم لذلك أنَّه أفرغ فراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان))[1].

ج- تحدث الجرجاني عن نظرية النظم، ويعني بالنظم ((التضامّ والبناء والنسيج الذي يكون بين أجزاء النص وتوالد الألفاظ بعضها من بعض)) وقال أيضاً: ((ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم))[2].

ونفهم من هذا أنَّ مقصد " الجرجاني " بالنظم لاينصب في كيفية ضمّ الألفاظ إلى بعضها شكلاً من غير اهتمام بدراسة العلاقات المتَّصلة بالمفاهيم بين تلك الألفاظ بل إنَّه أراد أن تكون متضامّة شكلاً ودلالةً؛ ولذا نجده يطلق لفظ " معاني النحو " كثيراً في كتابه، دامجاً في ذلك بين النحو والبلاغة، يقول: ((لايصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتّصال يكون بين معنييها؛ لأنَّه لو جاز أن يكون لمجرد ضمّ اللفظ إلى اللفظ تاثير في الفصاحة، لكان ينبغي إذا قيل " ضحك خرج " أن يحدث من ضم " خرج " إلى " ضحك " فصاحة؛ وإذا بطل ذلك لم يبق إلّا أن يكون المعنى في ضمّ الكلمة إلى الكلمة توخّي معنى من معاني النحو فيما بينها))[3].

2- علم النص عند الغربيين:

أمَّا عندما نعرّج على نشأة هذا العلم حديثاً في المراحل الأولى من تكوُّن نظريته، نجد أنَّ هارتمان "Hartmaun" يميز في نشأته بين سبع مراحل من التطور حددت معالمه، وهي: (علم البلاغة، علم الأسلوب، والتأويل، والسيميائية، وتحليل المضمون، ونظرية أفعال الكلام، والبلاغة الجديدة)[4].

وقد تشكَّل علم النص في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات من القرن العشرين، حينما بدأت أوروبا ومناطق أخرى من العالم بالتوجُّه القوي نحو الاعتراف بنحو النص بديلاً موثوقاً به عن

---

[1]- (الجاحظ) أبو عثمان عمرو ابن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985م، ص76.

[2]- (الجرجاني) أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، صححه الشيخ محمد عبدة وآخرون، دار المعرفة، بيروت،1998م، ط2،ص15.

[3]- المرجع السابق، ص254.

[4]- سالم المنظري، ص34.

نحو الجملة ويمكن سرد أبرز روَّاد علم النص من الغرب وفق تسلسل تأريخي يوضح مراحل تطوره وذلك كالآتي:

1- هنري فايل " H.weil " (1887م) علق تتابع اللفظ على تتابع الأفكار، وفصل هذا التتابع عن النحو، وقدم من خلال ذلك أفكار المعايير الوظيفية للجملة ومفهوماً خاصاً لأسلوب الأفكار.

2- ناي " Nye " (1912م) تناولت ظاهرة النقصان وعدم الاكتمال، وظاهرة التكرار بناءً على أسس نصية، وبوصفها إشارات وأشكالاً محددة للعلاقات الداخلية بين الجمل المختلفة، إذ حاولت بدقة اكتشاف كنه هذه العلاقات[1].

3- هيالمسلاف"Hjelmslan " أشار إلى ظاهرة التناسق والترابط وشبه الاعتراف بوجود النص كياناً لغوياً[2].

4- زيليج هاريس "Z. Harris " من أوائل الذين اهتمُّوا بالتحليل النصي، إذ كتب بحث بعنوان " تحليل الخطاب " (Discours Análisis) واهتمَّ بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي، وقد خرج في بحثه على تقليد " بلومفيلد " الذي كان يرى أنَّ التعبير اللغوي المستقل بالإفادة أو الجملة هو ما يهتم به اللساني، أمَّا النص فليس إلَّا مظهراً من مظاهر الاستعمال اللُّغوي غير قابل للتحديد.

5- هارفنج " Harweng " وإيزنبرج ورقية حسن (1968) الأول: حاول وصف التنظيم الداخلي للنص من خلال الحديث عن بعض العلاقات فيه كعلاقة الإحالة والاستبدال والتكرار والترادف والعطف والترتيب، والثاني: اهتمَّ بالبحث في العوامل المتحكمة في اختيارات صاحب النص، وعلاقات المجاورة بين الجمل، والثالثة: جعلت بحثها " علاقات التماسك النحوية في الإنجليزية المكتوبة والمنطوقة " على كشف علاقات الاتساق داخل النصوص ومعرفة القواعد النحوية التي تنظّم النص[3].

6- فان دايك " Van Dijk " اعترض في كتابه (بعض ملامح نحو النص) some" aspects texte grammer" على النحو التقليدي، ودعا إلى اتّباع طرق جديدة في تحليل النص

---

[1]- سعيد بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص87.

[2]- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ط1، المؤسسة العربية للتوزيع تونس، 2001م، ص108.

[3]-سالم المنظري ص34.

والتعامل مع النص على أنَّه بنية كبرى ومحاولة تحديد القواعد التي تحكم بنية المعنى الكلّي للنص[1].

7- هاليداي ورقية حسن (1976م) نشرا كتاباً بعنوان: (الاتساق في اللغة الإنجليزية) "cohesion in English"، عالجا فيه مفاهيم النص والسياق وغير ذلك، وبحثا وسائل الاتساق وهي: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي[2].

8- " دي بوجراند " مثّل كتابه (النص والخطاب والإجراء) مرحلة متقدمة من علم النص، إذ حدَّد المعايير التي تشترط لتوافر صفة النصية في النص، وبيَّن أنَّ الصفة المميزة للنص هي استعماله في الاتّصال.

9- " براون " و "يول " (1983م) اعتمدا في مؤلفهما " تحليل الخطاب " على استعارة أدوات علوم أخرى مارست ولاتزال تمارس تأثيراً كبيراً في معالجة اللُّغة، مثل: اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، كما اهتما بالسياق والعملية التواصلية بين المرسل والمستقبل ووحدة الموضوع، وصارت نظريتهما أنّهما جعلا المتكلم والمتلقي منتجين للنص وانسجامه، فليس الانسجام من الخطاب فقط بل حتى المتلقي.

وهكذا فإنَّنا نجد أنَّ تميُّز علم النص واستقلاله لم يُشكَّل تقريباً إلَّا بعد عمل "هاليداي" و " رقية حسن" في (1976م)، إذ برزت لهذا العلم ثلاث نظريات أساسيَّة في طريقة تحليله وهي: النظريَّة اللسانية الوصفية، ونظريَّة لسانيات الخطاب، ونظريَّة تحليل الخطاب، على أنَّ هذا لا ينفي وجود الاضطراب في بعض مصطلحاته واهتماماته، وكما تقدَّم فإنَّ هذه ظاهرة صحية لعلم لا يزيد عمر نضجه على أربعين عاماً.[3]

---

[1]- سعيد بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص219.

[2]- انظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب،عالم الكتب الحديث، عمان، 2009م، ص30.

[3]- سالم المنظري، ص35 . 38.

الفصل الثاني : معايير الترابط النصّي

المبحث الأوَّل : الاتساق والانسجام والمقصدية

المبحث الثاني : المقبولية والسياق والتناص

المبحث الأوَّل

الاتّساق والانسجام والمقصدية

تمهيد:

إنَّ ما يمكن استخلاصه من مختلف التعاريف التي سبق أن عرَّفناها، والتي حاول فيها أصحابُها تعريف النص، هو إجماعهم على أنَّ النص وحدة لغوية مهيكلة " structure "؛ إذ تجمع بين عناصرها علاقات وروابط معينة وهذا ما يجعل من النص كلاً مترابطاً منسجماً؛ كما رأينا أيضاً أنَّ العديد من اللغويين يؤكّدون على غائية النص، وهي تحقيق التواصل بين المتكلمين، وأنَّ ذلك يتم دائماً في سياق معين، وتمثل هذه العوامل مجتمعة ما يسميه علماء النص بـ " النصيَّة " (la texteualite)، وهي أيضاً المقومات التي يتميز من خلالها النص عن اللا نص، كما أنَّها تمثل المباحث الأساسية للسانيات النص.

ويعدُّ دي بوجراند من أوائل علماء النص الذين حدَّدوا بدقة متناهية معايير النصية، إذ جاءت شاملة لكل تعاريف النص على اختلافها، وقد ضمَّن ذلك كتابه (النص والخطاب والإجراء)"، إذ يقول: ((وأنا اقترح المعايير الآتية لجعل النصية " texteulity " أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها))[1].

وأمَّا هذه المعايير هي:

1- السبك : La cohesión

2- الحبك : La coherence

3- المقصدية : L. Intentionnalite

4- المقبولية : L. Acceptabilite

5- السياق : Le context

6- التناص : L,intertexteualite

[1]- روبرت دي بوجراند النص والخطاب والإجراء تر: تمام حسان، القاهرة عالم الكتب، ب ط، 1998م، ص103.

وعلى الرغم من أنَّ هذه المعايير تعد سبعة عند كثير من علماء النص، إلا أننا نقتصر في هذه الدراسة على ما ذكره دي بوقراند وهي المعايير الستة السابقة.

ويرى سعد مصلوح، بخصوص هذه المعايير، أنَّه بالإمكان تقسيمها إلى ثلاثة أصناف:

1- صنف يتصل بالنص ويشمل معياري الاتساق والانسجام.

2- صنف يتصل بمنتج النص ومتلقيه، ويشمل معياري المقصدية والمقبولية.

3- صنف يتصل بظروف إنتاج النص وتلقيه ويندرج ضمنه معياري السياق والتناص[1].

أولاً- الاتساق "السبك" La cohesión:

أ- الاتساق لغةً:

جاء في لسان العرب: ((اتَّسقت الإبل واستوسقت: اجتمعت... وقد وسق الليل واتَّسق، وكل ما انضمَّ، فقد اتَّسق، والطريق يتَّسق ويتَّسق أي: ينضم وفي التنزيل ((فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ* وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ* وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ)) [2]، يقول الفرَّاء: ((وما وسق أي: ماجمع وضمَّ، واتساق القمر: امتلاؤه ووسَّقت الحِنطة توسيقاً أي: جعلها وسقاً وسقاً))[3].

وجاء في المعجم الوسيط: ((وَسَقت الدابَّة، تسق وسقاً ووُسوقاً: حملت وأَغلغت على الماء رحمها، فهي واسق... واتَّسق الشيء: اجتمع وانضمَّ: والقمر استوى وامتلأ، واستوسق الشيء: اجتمع وانضمَّ يقال: استوسقت الإبل، والأمر انتظم، ويقال: استوسق له الأمر: أمكنه))[4].

مما سبق نلاحظ أنَّ كلمة "الاتساق" تستخدم في معاني كثيرة منها: الانتظام، والانضمام، والاستواء والاجتماع.

ب- اصطلاحاً:

فإنَّ مفهوم الاتّساق في الاستعمال الاصطلاحي ليس بعيداً عن معانيه اللُّغوية التي ذكرناها آنفاً وتعود بدايات هذا المصطلح عند الغربيين بلفظ "Cohesion" ويعدُّ من المفاهيم الأساسية

---

[1]- راجع أحمد عفيفي، نحو النص، ص76.

[2]- الانشقاق الآية من 16 . 18.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق:عامر أحمد حيدر، مادة (و س ق)

[4]- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ج1 ص1032.

التي ركزت عليها لسانيات النص، وقد عرَّفه محمد خطابي بأنَّه: ((ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ أو خطاب برمته))[1]، وقد نفهم من كلام محمد خطابي أنَّ مفهوم الاتساق هو الترابط الشكلي بين أجزاء النص "الخطاب"؛ لأنَّه يعد النص هو الخطاب.

كما يعدُّ مفهوم الاتساق أوالتماسك من أهمَّ المفاهيم التي ركَّزت عليها لسانيات النص، وهو مصطلح استعمله "هاليداي" و "رقية حسن" للإشارة إلى مجموعة من التي تتحكم في تنضيد الجمل وتماسكها وترابطها لغوياً وتركيبياً، ومن هنا يحدث الاتساق، إذ وقف تأويل عنصر من الخطاب على تأويل عنصر آخر منه، إذ يستلزم الواحد منهما الآخر بمعنى أنّه لا يمكن فهم أحدهما إلا باللجوء إلى الآخر؛ ومتى حدث هذا تكون هناك علاقة تماسكية، ويمكن أن يدمج العنصران، المستلزِم والمسلزَم في النص[2].

إذن الأمر يتعلق بنسيج النص الذي يمكن تعريفه بأنَّه: التنظيم الصوري للنص وذلك في الحدود التي يضمن فيها هذا الأخير استمراريته الدّلالية؛ كما إنَّ العلاقات بين الجمل ترصد بتعابير أو تراكيب صنَّفها "هاليداي" و "رقية حسن" في خمس أسر علائقية كبرى وهي: (علاقات الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والتماسك المعجمي)، ولقد أعطي هذا التنميط الذي تم تبنّيه وتطويره من لدن النصَّانيين زخماً قوياً لعديد من الدراسات المنتظمة وفقاً للمستويات الثلاثة: جملي، وغير جملي، وفوق جملي[3].

وعليه يبنى النص – لسانياً – بواسطة مجموعة من الروابط التركيبية انطلاقاً من الجملة الثانية حتى آخر جملة في النص، ومن ثم تحوي هذه الروابط الضمائر المتَّصلة والمنفصلة، والأسماء الموصولة، وحروف العطف، وتكرار الكلمات والألفاظ.

ج-مظاهر الاتّساق:

يتجلى الاتساق في المظاهر الآتية:

1- **الترابط الموضوعي:** بمعنى أن يعالج النص قضيَّة معيَّنة أويتكلم عن موضوع محدد، يرى فان دايك أنَّ مجموعة الجمل لا تدور حول موضوعات ما يصعب وجود روابط بينها، ومن

---

[1]- محمد خطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م ص5.

[2]- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، www.alukah.net، ص68.

[3]- ماري آن بافو و جورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى تر: محمد الراضي،المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، ص318.

ثمَّ لا يمكن أن تكوّن نصَّاً، وعليه تقتضي الوحدة الموضوعية تجنب التناقض والانتقال غير المبرّر من فكرة إلى أخرى لا تربطها بها أيَّة علاقة منطقيّة؛ لذلك فإنَّ من العوامل التي تحقق للنص اتّساقه وترابطه حسب كل من " براون " و " يول "، وحدته المعنوية إنَّ قوة الربط تكمن حقيقة في العلاقة المعنوية المضمّنة ولن يختلف اثنان في ضرورة وجود مثل هذه العلاقات داخل الخطاب لكي يتيسّر فهمه فهماً منطقياً.

2- **التدرج: progression**، وهو مظهر مهم وضروري لابدَّ من توفره في النص سواء أكان الأمر متعلّقاً بالعرض أم بالسرد أم بالتحليل وهو ما من شأنه أن يجعل القارئ يحسُّ أنَّ للنص مساراً معيناً، وأنّه يتجه نحو غاية محدَّدة، ويجعله أيضاً يتوقَّع في مرحلة ما من مراحل النص، ما سيأتي بعدها.

3- **الاختتام:** " la cloture "، يتعين أن يتوفر في النص معيار الاختتام وهذا من منطلق أنَّ كلّ كيان لغوي يستوجب أن يتكون من مقدمة وجوهر وخاتمة، والنص الذي لا يختتم يفقد الكثير من من حصافته واتّساقه ولا يستطيع قارؤه أن يدرك بوضوح غائيته؛ وعليه فسواء أكان المتكلم يروي حكاية أم يكتب مقالاً قائماً على الاستدلال، فإنَّه لابدَّ أن يرسم لذلك خطّةً معينةً تبدأ من نقطةٍ ما وتنتهي إلى نتيجةٍ أو خاتمةٍ.

4- **انتماء النص:** من الضروري جداً أن يكون للنص هوية، وانتماء ومعنى ذلك أن يكون له نوع "typeٍ"، ودليل أنَّ النصوص أنواع حسب مايراه هالداي ورقية حسن من أنَّ الكفاية النصية العامة التي تتوفَّر لدى متكلمين بلغة معيَّنة، تقترن دائماً بكفاية نوعيَّة تتمثل في قدرة القارئ على التمييز بين أنواع من النصوص، بقطع النظر عن مضامينها، وهذا مايقضي ممَّن يمارس الكتابة أن يحترم خصائص كل نوع إذا أراد أن يحقّق للنصّ المنجَز اتّساقه[1].

لاشك فيما أتينا على ذكره من معايير تعدُّ أدوات جيّدة يقاس بها مدى امتثال النص لمقومات النصيّة.

[1]. محمد الأخضر الصبيحي، ص82.

ثانياً- الانسجام "الحبك" La coherence:

عرَّف العلماء الانسجام تعريفات متقاربة، تدور حول ما يقوم به الانسجام من دور في الربط بين مفاهيم النص ودلالته، فقد عرَّفه "كريستال"[1] بأنَّه: خاصية تناغم المفاهيم والعلاقات في النَّص، إذ تستطيع تصوّر استدلالات مقبولة فيما يتعلَّق بالمعنى الضّمني للنص[2]، ولفظة مقبولة تشير إلى أهميّة أن يوصِّل الانسجام الفهم المراد إلى المتلقّي بوسائل مقنعة يتقبَّلها المتلقي، وهذا أوج الانسجام وقوَّته؛ ويشرح " سوفنسكيي " sowinski " الانسجام بطريقة مبسَّطة فهو يرى أنَّه: يقضي للجمل والمنطوقات بأنَّها محبوكة (أي منسجمة) إذا اتَّصلت بعض المعلومات فيها ببعض في إطار نصّي أو موقف اتّصالي، اتّصالاً لايشعر معه المستمعون أو القرَّاء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات[3].

ويتَّضح هنا اهتمام الانسجام بمضمون النص ودلالته بخلاف الاتساق الذي يهتم بشكله ومبناه، على أنَّ الفصل بين الاتساق والانسجام لم يكن وارداً مع البدايات الأولى لعلم النص؛ بحكم عدم ثبات المصطلحات بدايةً، ولكنَّه تنامى مع الزمن تدريجيّاً حتى أصبح كل مصطلح منهما يدل على ما لا يدل عليه الآخر.

ويؤكّد هذا الكلام ما كان يراه " تشارولس "charollcs" من عدم أهميَّة التمييز بين الاتّساق والانسجام الذي يقترحه البعض؛ بحكم أنَّه ليس ممكناً في الوضع الحالي للبحث أن يحدث تقسيم صارم بين القواعد ذات البعد الخطابي، ثم يتراجع عن رأيه بعد أربع عشرة سنة ويكتب مقالاً يشير فيه إلى أنَّ الفصل بين الاتساق والانسجام أصبح عنده تحصيل حاصل[4].

ومع ذلك لاينبغي إغفال العلاقة القائمة بين المفهومين فالعلامات التي يدرسها الاتّساق هي في أساسها محققة للانسجام، ومن الممكن أن يتحقق الانسجام في نص ما دون الاتّساق، والعكس صحيح؛ وعلى هذا الأساس فإنَّ الاتّساق الذي يهتم ببنية النص والانسجام الذي يهتم بدلالة النص عمودان أساسان في النص لا يمكن إقصاء أحدهما عن الآخر في أغلب الصياغات النصية، وإلا فإنَّه من الممكن أن نرى نصَّاً منسجماً ولكنَّه غير متَّسق كما في المثال الآتي:

---

[1]- هو ديفيد كرستال، عالم لغوي وكاتب بريطاني، ولد في أيرلندا، سنة 1941م.

[2]- محمد الشاوش، ص108.

[3]- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005م، ص91.

[4]- سالم المنظري، ص52.

الأستاذ: أعطني دفتر يا عمر.

التلميذ: كنت مريضاً أمس يا أستاذ.

الأستاذ: نعم تذكرت. طهوراً إن شاء الله.

تبدو الأفعال الإنجازية لهذه المحادثة متحقّقة ولذلك فهي منسجمة أجزاؤها ومفهومة صياغتها ومواقفها، ولكن تلك الأجزاء لم تتحقق فيها العلاقة العضويَّة، ولذلك فهي غير متّسقة ولو كانت متّسقة لكان بإمكان الاتّساق أن يحقّق للمحادثة انسجاماً أكثر، ولو أعدنا صياغتها بالاتساق الذي نقصده لظهرت بالشكل الآتي:

الأستاذ: أعطني دفترك ياعمر؛ لأصحح الواجب.

التلميذ: لم أحل الواجب؛ لأني مريض أمس يا أستاذ.

الاستاذ: نعم تذكرت الآن أنك مريضاً أمس طهوراً إن شاء الله.

والمقصود من هذا المثال أنَّ النصوص تستطيع إيصال رسالتها بتحقيق أحد المعيارين فقط: الاتساق أو الانسجام، وهي قليلة؛ ولايفهم من ذلك أنَّ المراد مدّ النصوص وإبعادها عن خاصية الإيجاز.

يتعلق معيار الانسجام بمدى معرفة المتلقي بالعالم الذي تحيل عليه الجملة أو الجمل، ولذلك فهو أمر نسبي؛ فقد يكون النص الواحد منسجماً أوغير منسجم بحسب معرفة المتلقي بعالم النصّ، وجملة المعارف الحاصلة في ذهن منشئه أو متلقيه، واعتمد بعض علماء النصّ مثل: " جينوت " Genot " و"رسل" Russell على جملة شهيرة في التمثيل لذلك وهي " ملك فرنسا أصلع "[1] فهذه الجملة تكون منسجمة لمن لايعرف أنَّه ليس لفرنسا ملك، وتكون غير منسجمة لمن يعرف أنَّه ليس لفرنسا ملك، وإلى ذلك يشير " جورج يول " حينما ذكر أنَّ الروابط الحاصلة بين أجزاء النصّ سواء الاتّساقية أو الانسجامية ليست وليدة اللغة أو الكلام، وإنَّما هي وليدة معرفة المتلقين والسياق المحيط بهم، وذكر أنَّ التناغم شيء موجود في الناس لا في اللغة، والناس هم الذين يحددون معنى ما يقرأون وما يسمعون. وبصريح العبارة فإنَّ النص إن كان قابلاً للفهم فهو منسجم وإلا فلا يكون منسجماً[2].

---

[1]. سالم المنظري، ص53.

[2]. سالم المنظري، ص54.

ثالثاً– المقصديَّة "intentionality"

المقصديَّة تعني قصد منتج النص من أيَّة شكلية لُغوية ينتجها حتى تكون قصداً مسبوكاً محبوكاً، وفي معنى أوسع تشير القصديَّة إلى جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها؛ فإذا كان التعريف الأوَّل يحدّد السبك والحبك كهدفين نهائيين للقصديَّة، فإنَّ التعريف الثاني يراهما وسيلة ضمن وسائل أخرى عديدة يستغلها المرسل من أجل تحقيق مقصده وهذا يؤكد أن عنصري السبك والحبك يوجههما باستمرار قصد المرسل لهدف محدد وهو التأثير في متلقٍ بعينه في ظروفٍ خاصة؛ وربَّما فُسّر هذا التعريف لدى دي بوجراند والذي لا يشترط إلزاماً للسبك والحبك؛ أنَّ منتج النص يقوم أحياناً متعمّداً بإفساد التماسك المعنوي للنص بغية الوصول إلى نتيجة ما، فلا يؤدي احتواء النص على خلل في السبك "cohesion" أو الحبك "coherence" إلى فقدان النص للتقبُّلية ما دام الخلل في نطاق الأحداث القصدية التي تتَّجه إلى هدف[1].

لقد اهتمَّت الدراسات التداولية في بداية الأمر، بالمتكلم باعتباره قوَّة عليا يمتلك سلطة متفوّقة، إذ يوجّه للمخاطب الذي يكون في مرتبة دنيا، مجموعة من الأوامر لتنفيذها بطريقة ميكانيكية، دون تردُّد أو مناقشة كما هو حال الأوامر الدّينية والعسكرية، ويسمَّى هذا بالتواصل التوجيهي، لكن هناك من يرفض هذا التصور الميكانيكي، فيعد المقصديَّة قاسماً مشتركاً بين كل من المتكلّم والمتلقّي، لافرق بينهما إلَّا من باب الأخذ بزمام المبادرة، لكن هناك من يرى أنَّ المقصديَّة يتحكم فيها المتلقّي فيجعل المتكلّم في قبضة يده، فيتصرَّف فيه كيفما يشاء ثم يضطر المتكلم إلى تكييف خطابه حسب رغبات المتلقّي، بل قد يكون ناطقاً بلسانه[2].

وهكذا لم تخلُ كتابة من الإشارة إلى القصد والقصدية والمقصدية وممَّا يفيد هذا المعنى، فإنَّ فالباحثون جميعهم يجعلون المميّز الأساسي بين الإنسان وغيره، ولكن هناك من قصرها على ما ورد فيه جذرها صراحةً أو ضمناً كـ " هرمان باريت "parrit"، ومنهم من جعلها مسبقة كـ " ريماص Greimas " كما أنَّ منهم من جعلها ميكانيكية موجهة كـ " أوستين Auslin" و" وسورل Searle "، " وكرايس Grice " بيد أنَّها لا تقتصر على المتكلّم، ولكنَّها تشمل المخاطب أيضاً؛ ولهذا من الاختلاف (نظرية التلقّي)، مما أدَّى إلى طرح إشكالياتها الفلسفية والمنهاجية،

---

[1]- عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، تقديم: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009م، ص28.

[2]- محمد مفتاح، النقد بين المثالية والدنامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، ص46.

باعتبار أنَّها غالباً ما تكون ظاهرة في النَّص، وإنَّما يفترض أنَّها تكمن خلفه؛ لذلك بُذلت محاولات للخروج بها من ميدان علم النفس إلى مجالات اللسانيات، أنَّها – مهما اختلفت وجهات النظر في كيفية تناولها – مُجمع على وجودها كأنَّها تكسب الكلام دينامية وحركة، بل هي منطلق الدينامية، ويعني هذا أنَّ النص الأدبي باعتباره جملاً وملفوظات لغوية ويحوي مجموعة من المقاصد المباشرة والضمنية التي يعبر عنها المتكلم والمتلقي أو هما معاً، بتعبير آخر، ثمة مقاصد أوَّلية تتعلَّق بالمتكلم المرسل قد يكون شاعراً . مثلاً، فيعبّر عن بعض مقاصده كالحب، والخوف، والاعتقاد، والتمنّي، والكراهيَّة، وفي المقابل، ثمَّة مقاصد ثانوية تتعلق بالمتلقّي السامع و أوليّة تتعلق بالمتلقّي السامع الذي عليه أن يفهم مقاصد الشاعر المبدع، ويتعرَّف إلى ظروفه وحالاته النفسية والذهنية والوجدانية.

أما إذا انتقلنا إلى النص الأدبي فإنَّ المبدعين والشعراء يوظّفون كلمات وتعابير وأسماء أعلام لها مقصديَّة مباشرة وغير مباشرة، قد تدرك بطريقة ظاهرة، أو تفهم بالتضمين والتلميح وهذه المقصدية واضحة في الشعر العربي المعاصر أكثر من الشعر العربي القديم، فالشاعر المعاصر يوظّف اللُّغة في ضوء سيميائية قصديَّة، إذ تتحوَّل قصائده إلى علامات ورموز وإشارات وأيقونات تحمل في طيَّاتها دلالات مقصديَّة، ينبغي استكشافها من قِبل المتلقي عبر آليات التفكيك والتشريح والتغويض والتأويل والتأجيل، فالشعراء مهما كانت أجناسهم وأمصارهم وأزمنتهم حرصوا على قصديَّة اللُّغة الشعريّة، بمعنى الارتباط الطبيعي بين الدال والمدلول فقد اعتنقوا –بدرجات متفاوتة – النظرية " الكراتيلية " على حساب " الهموجولية " إلَّا أنَّه إذا كان الشعراء القدماء يستعملون اللغة بحسب ما تملي عليه تجاربهم، فإنَّ المحدثين والمعاصرين الذين تأثَّروا بالتيارات السيميائية المعاصرة صاروا يقصدون اللُّغة بسبق الإصرار، وهكذا نجد في قصائدهم ما يحاكي أصوات الطبيعة، وحشداً هائلاً من أسماء الأعلام المختلفة ذات الدلالات الإيحائية، وألفاظ عتيقة ضاربة في أعماق التاريخ أو حديثة آتية من آفاق مختلفة، وهذا التداخل المعجمي يخلق عدَّة معان فرعية عرضيَّة تقرأ بتشاكلات مختلفة بحسب الوسط الذي دعيت منه الكلمة مما يجعلها مؤشّراً كنائياً عليه، وقد تصبح أيقوناً إذا توفرت فيها علاقة المثلية أو المشابهة[1].

[1]- محمد مفتاح، ص56.

المبحث الثاني

المقبولية والسياق والتناص

أولاً- المقبولية "acceptabilite":

نعني بالمقبولية قبول نص ورفض آخر بناءً على مجموعة من المعايير والقواعد والمرتكزات والأسس اللُّغوية واللّسانية والنَّصية، كما هو الحال عند نعوم تشومسكي الذي يميز بين الجملة اللاحنة والجملة المقبولة، فالجملة الأولى هي التي لا تحترم قواعد النحو أو الدَّلالة أو الصياغة التداولية في حين، تحترم الجملة الثانية القواعد التي سطَّرها التركيب أو علم الدلالة أو علم التداول، بعد تطور اللّسانيات التوليدية التحويلية، وانفتاحاً على مجموعة من مستجدَّات اللسانيات المعاصرة.

ويعني هذا أنَّ النص المقبول هو ذلك النص الذي يخضع للسلامة النصيَّة، ويتَّسم بالاتّساق والانسجام وقواعد التنسيق والتنضيد والترابط والتماسك والتركيب المعنوي، أي: ذلك النص الذي تتوافر فيه الوحدة العضوية والموضوعية[1]، فالمقبولية بالمعنى الواسع (هي رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب)، أي: رغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة، وبذلك يمثل المتلقي جانباً مهماً من جوانب عملية الانتاج التي تتكون من "المنتج والنص والمتلقي"، فلا شك أنَّ النص يكتسب حياته من خلال المتلقي، إذ يفك شفرته ويستخرج ما فيه، ويتوقَّف ذلك على ثقافته وأفقه ومعرفته بعالم النص وسياقه، ذلك الأفق الذي يمكّنه من إدراك ما في النص من أفكار ومبادئ وجماليات، كما يمكّنه من ملء الفراغ الكامن بين عناصر ذلك النص، وعلى وجه الخصوص مايتَّصل بحذف العديد من العناصر في النص.

إنَّ إدراك كلَّ نص وتأويله عمل ذاتي، فالأفراد على اختلافهم لايهتمون بالنواحي ذاتها في النصوص التي تعرض عليهم، كما أنَّ مضمون النص لا يستهويهم أو يتلاءم مع تجربتهم بشكل موحَّد... إلَّا أنَّنا نفترض وجهة نظر متبادلة أو وجود قدر معين من الاشتراك في وجهة النظر يكون كافياً لتحقيق التفاهم.

---

[1]- جميل حمداوي، ص161.

كما أنَّ اعتياد القارئ على الأعراف البلاغية واللغوية والتغييرات الثقافية التي يُنتج بها النص، ووضوحها بالنسبة له يسهم في سرعة تقبله له، فعملية القراءة تفاعل بين النص والخلفية المعرفية المسبقة للقارئ أو مخطط الذاكرة "memory schemata" والتوقُّعات المعينة حول البنية العامة للنصوص، كما أنَّ معرفة المتلقي بلغته تتضمَّن قدرات على تحديد وتفسير السمات التي تشير إلى الترابط للتعرف على الانحرافات وإزالة الغموض، فالمتلقّي يكون على علم مستمر بالانحرافات اللُّغوية وقادر على تفسيرها.

ويدعم ذلك ما ذهب إليه دي بوجراند من أنَّ احتواء النص على خلل أو انقطاع في الربط المعنوي "الحبك" لايؤدّي إلى فقد النص للتقبُّلية، مادام الخلل يقع في نطاق الأحداث القصديَّة التي تتَّجه إلى هدف؛ وبذلك يجب أن نميّز بين ما يشترطه علم القواعد المعياري والمقبوليَّة أي (ماهو مقبول فعلاً في عملية الاتّصال)[1].

كما أنَّ القارئ بقراءته للنص يصنع تماسكاً من نوع مختلف لما يقرره في النص علم القواعد، يقوم إذ بعمل سياق من أجل تفسير المعلومات الجديدة لكي يصنع التماسك والاستمرارية في النص وتعتمد قدرة القارئ في استخراج المعلومات وملء الاستنتاجات الضروريَّة على معرفة العالم والقصدية وأعراف الكتابة، ودمجه للمعاني التي يدركها من الخطاب مع المعلومات التي يعرفها بالفعل، وبذلك يحدد السياق الذي يُفهم من خلاله أجزاء النص، ومن هنا فقد احتلَّ المتلقّي مكانة عالية، حتَّى تأسَّست في الثلاثينيات من هذا القرن نظرية التلقّي، وكان أبرز معطياتها أنَّ كلاً من المعنى والبناء ينتجان عن تفاعل النص مع القارئ، فالقارئ – إلى حدٍ ما – هو المبدع المشارك للنص نفسه، بل لمعناه وأهميَّته وقيمته... وعلى هذا فإنَّ أهم الأدوار في استراتيجية التفكيك هو دور القارئ وليس المؤلّف فسير عملية الإنتاج والتلقّي في اتّجاه واحد أصبح غير منطقي، إذ أنَّ لغة الحوار بين الأطراف الثلاثة، النص والمنتج والمتلقي أصبحت هي السمة الغالبة في ضوء أنَّ القارئ هو الذي يحكم على النص، ويستخرج معناه، ويحكم على تماسكه، وهذا يعني أنَّ القارئ شريك مشروع؛ لأنَّ النص لم يكتب إلَّا من أجله.[2]

---

[1]- عزة شبل، ص28.

[2]- نبيلة إبراهيم: القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال)، مجلة فصول، ع1، مج5، 1984، ص215.

ثانياً- السياق: "context"

أ- السياق لغةً:

السياق في اللغة يعني التتابع والتوالي والتسلسل، يقول ابن منظور: ((ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوقاً وسياقاً... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، وفي حديث أمّ معبد: فجاء زوجها يسوق أعنزاً ما تساوق، أي: ماتتابع والمتساوقة والمتتابعة، كأنَّ بعضها يسوق بعضاً... وساق بنفسه سياقاً نزع بها عند الموت، تقول: رأيت فلاناً يسوق سوقاً، أي: ينزع نزعاً عند الموت))[1].

ويقول الزمخشري: ((تساوقت الإبل: تتابعت وهو يسوق الحديث أحسن سياق وإليها يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه، على سرده))[2].

مما سبق يُلحظ معنى التتابع، والتوالي، والتسلسل في استعمال لفظ السياق، كما في سوق الإبل والدواب، وسوق النفس عند الموت، وتتابع الكلام وتسلسله؛ أما في غير العربية كما يقول عبد بليع (يتكون السياق "context" من السابقة اللاتينية بمعنى "مع" و "contuse" اللاتينية . أيضاً . التي تعني النص أو المتن)[3].

ب- السياق اصطلاحاً:

إنَّ الدراسات اللغوية تذكر أنَّ كلمة "السياق" كانت شائعة بين القدماء بمدلولها اللغوي العام، ولم تحمل مفهومها الاصطلاحي المعروف لها الآن عند علماء الدلالة المحدثين إلا بعد استخدام "مالينوفسكي"[4]، و"فيرث"[1] لها، فالقدماء لم ينصُّوا على تعريف اصطلاحي للسياق على الرغم من ممارستهم له ولأهميته.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (س و ق).

[2]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (الزمخشري)، أساس البلاغة، تح: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 1998م، 484/1.

[3]- عبد بليع، السياق و توجيه دلالة النص، بلنسية للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، ص208.

[4]- هو برونيسلاف كاسبر، المولود سنة1884م، عالماً بولندياً من أهم علماء الإنسان في القرن العشرين، وهو صاحب نظرية الوظيفة.

ويذكر أولمان أنَّ السياق هو: ((النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه العبارة؛ إنَّ السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشتمل لا على الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة، بل القطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل فحسب ـ بوجه من الوجوه ـ كل مايتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تُنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن)).

أما تمام حسان فيستند في تعريفه للسياق على معناه اللغوي وعلى نوعيه من ناحيتين: **الأولى:** توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب، ومن هذه الزاوية يسمى "سياق النص" **الثانية:** توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال ويسمى "سياق الاتصال"[2].

وشبيه بتعريف تمام حسان ماذكره جمعان عبد الكريم بقوله: ((أمَّا السياق في الدراسة اللغوية الحديثة، فيعني به كل مايتعلق بأحوال المتتالية اللغوية في ظروف استعمالها داخل النص وخارجه؛ ولذلك فهو ينقسم إلى قسمين، وقد انطلق أغلب اللغويين في تعريف السياق من تعريف قسميه كلٌ على حدة)9[3].

مما سبق من تعريفات يتبين لنا أنَّ السياق هو كل ما يحيط بالنص من عوامل تعين على فهمه سواء أكانت عوامل لغوية داخلية متمثلة في العلاقات الصوتية، والصرفية ، والنحوية، والدلالية، أم عوامل غير لغوية خارجية متمثلة في حال المخاطِب والمخاطَب، وكذلك الزمان والمكان، والغرض من النص ودواعيه، والإشارات، والإيماءات، والتلميحات، والحركات الجسمية بوجه عام المصاحبة للموقف الكلامي...إلخ.

وتعدُّ نظرية السياق عماد علم الدلالة، وفي ذلك يقول حلمي خليل: (نظرية السياق تشكل ـ بلا شك ـ ركناً مهماً من أركان علم الدلالة الآن؛ لأنَّ التحليل اللُّغوي للنص أو الكلام لا يعطينا إلَّا المعنى الحرفي، أو معنى ظاهر النص، وهو معنى فارغ تماماً من

---

[1]ـ هو جون روبرت فيرث، عالم لغوي بريطاني، له دور كبير في تطوير علم اللغة في بريطانيا، وهو صاحب نظرية (السياق)، توفي 1960م.

[2]ـ تمام حسان، مقال قرينة السياق، الكتاب التذكاري لكلية دار العلوم، مطبعة عبير للكتب، ط1، القاهرة، 1993م،ص62.

[3]ـ جمعان عبد الكريم، إشكالات النص (دراسة لسانية نصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2009م، ص400.

محتواه الاجتماعي والتأريخي، ومنعزل تماماً عن كل ما يحيط بالنص من القرائن التي تحدد المعنى)[1].

ج-أنواع السياق:

تباينت تقسيمات اللغويين للسياق بين الإجمال والتفصيل، فمنهم من جعل السياق نوعين: أحدهما: السياق اللغوي، والثاني: السياق غير اللغوي أو الاجتماعي[2]، ومنهم من جعل السياق ثلاثة: الأول: السياق اللغوي، والثاني: سياق المقام، والثالث:السياق الثقافي، ومنهم من جعل السياق أربعة: فزاد على التقسيم الثلاثي السابق، السياق العاطفي[3].

غير أنَّ الباحث يفضل التقسيم الثنائي الذي يشمل الأنواع الأربعة المذكورة آنفاً، والذي يبينه المخطط الآتي:

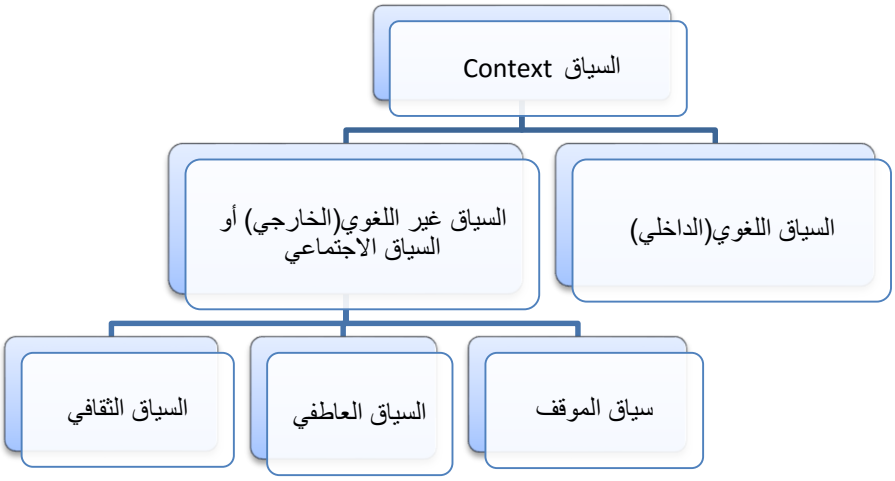

وربما دفع الباحث لهذا الاختيار ماذكره محمود حجازي بقوله: ((كلمة السياق كثيرة الدوران في البحوث اللغوية، تناولها الباحثون في الدلالة بمعنيين مختلفين، يمكن تحديدهما في أمرين، هما: السياق اللغوي lingustic context على عكس السياق الاجتماعي عند "فيرث" باسم: context of situation أي: سياق الموقف، وعند "بالمر" باسم: non lingustic context أي: السياق غير اللغوي))[4]، وكذلك ماذكره محمد خطابي عندما

---

[1]- يسرى نوفل،المعايير النصية في السور القرآنية (دراسة تطبيقية مقارنة) دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، 2014م، ص194.

[2]- ينظر: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ط1، دار قباء، القاهرة، ص159.

[3]- عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1987م، ص24 وما بعدها.

[4]- محمود فهمي حجازي، ص159.

تحدث عن كيفية تفسير معنى النص بقوله: ((السامع أو القارئ حين يحدد ـ بوعي أو بدون وعي ـ وضعية عينة لغوية يستدعي بنيتين: خارجية وداخلية، تتمثل البنية الداخلية في اعتماد الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما، وتكمن الخارجية في مراعاة المقام، أي: أن المتلقي يضع في اعتباره كل ما يعرفه عن المحيط))[1].

مما سبق يتبين لنا أنَّ السياق ينقسم إلى نوعين فقط يندرج تحتها كل السياقات هما: السياق اللغوي والسياق غير اللغوي؛ وذلك لأنَّ السياق اللغوي معروف، وهو توالي العناصر اللغوية التي يتكون منها النص، ويتحقق بها السبك والحبك داخل النص، وكل ما عدا ذلك فهو ينتمي إلى السياق غير اللغوي، لأنَّه يضم كل العناصر غير اللغوية التي تسهم في تفسير النص وفهمه، فهو يضم: السياق الاجتماعي، والسياق الثقافي، وسياق الموقف؛لأنَّها جميعاً سياقات تشتمل على أمورٍ غير لغوية، وإن كانت تؤثر في السياق اللغوي، وتسهم في تفسيره.

ثالثاّ- التناص Intertextuality:

يعدُّ مصطلح التناص من المصطلحات النقدية الحديثة الوافدة إلينا من الغرب، إذ ترجع أهميته باعتباره أحد معايير النصية، وقد صادف هذا المصطلح الجديد إشكاليات وصياغات متعددة لدى النقاد الغربيين، فهو تخارج نصي لدى "يوري لوتمان " وتحويل أو تمثيل عند "لوران جيني"، أما جيرار جينيت فيسميه "التعالي النصي" أو التداخل النصي[2].

والإشكالية نفسها عانى منها المصطلح إبَّان ترجمته إلى العربية، فبعضهم يعرّبه "بالتناص"، وآخرون "التناصية" وفريق ثالث "بالنصوصية"، ورابع إلى " تداخل النصوص"[3]. ومنهم من ترجمه إلى " تعالق النصوص"[4]، أو " توارد النصوص أوتفاعلها"[5]، أو "الحوار بين

---

[1]ـ نعمان بوقرة، ص14.

[2]ـ يسرى نوفل، ص169و 169 ـ197.

[3]ـ محمد عزام، النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي) منشورات اتحاد الكتاب العربي، ط1، دمشق، 2001م، ص39.

[4]ـ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، "استراتيجية التناص"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 1992م، ط3، ص121.

[5]ـ عوض الغباري دراسات في أدب مصر الاسلامية، دار الثقافة العربية، ط1، القاهرة، 2003م، ص151.

الصوص"[1] أو "النص الغائب"[2]،أو "الإحلال والإزاحة"[3]، أو "التفاعل النصي"[4]، فهذه المصطلحات العربية المترادفة التي تعبر عن المصطلح الغربي متشابهة إلى حدّ كبير في مدلولها مع الاختلاف في المسمَّى، مما يؤدّي إلى نوع من الخلط والارتباك لدى الباحثين، وقد آثر الباحث الاستقرار على مصطلح "التناص"، للقضاء على ذلك الارتباك والخلط الناتجين عن تعدد المسمَّيات، إضافة إلى أنَّ هذا المصطلح هو الأكثر شيوعاً وانتشاراً.

وكما تعدَّدت الرُّؤى حول المصطلح، نجد قد تعددت حول التعريفات كذلك، فمنهم من قال: ((إن كل ما يضع النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى فهو تناص))[5]، وهو ظاهرة لغوية ((يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح))[6]، أو هو ((كل نص ليس إلَّا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة))[7]، وآخر يقول: ((إنَّ كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى))[8] ويتضح المقصود بالمصطلح عند جوليا كرستيفا حينما تذكر أنَّ النص ((ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى)) ويؤكّد على نفس هذا المعنى آخر بقوله: ((إنَّ التناص تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة ، إذ يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي مُحيت الحدود بينها وأُعيدت صياغتها بشكل جديد، إذ لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها وغاب الأصل، فلا يدركه إلا ذو الخبرة والمران))[9].

كما عرَّفه الدكتور أحمد الزعبي بقوله: ((التناص في أبسط صوره، يعني أن يتضمَّن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس والتضمين أو التلميح

---

[1]- عبد الرحمن بيسو، قراءة النص في ضوء علاقاته بالنصوص الصادرة ، مجلة النقد الأدبي "فصول" مج16، ع1،1997م، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص89.

[2]- محمد عزام، ص9.

[3]- صبري حافظ، التناص وإشارات العمل الأدبي، مجلة البلاغة المقارنة، ع4، 1984م، ص10.

[4]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1988م، ص92.

[5]- طروس الأدب على الأدب، مقال جيرار جينيت، ضمن كتاب "آفاق التناصية"، المفهوم والمنظور، تر: محمد خيري البقاعي الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1،1998م، ص132.

[6]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص131.

[7]- رولان بارت، من العمل إلى النص، ضمن كتاب آفاق التناصية، ص42.

[8]- مارك أنجينو، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره، مقال ضمن كتاب " آفاق التناصيّة "، ط1، ص64.

[9]- جوليا كرستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، ص21.

أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، إذ تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكَّل نص جديد واحد متكامل))[1].

ومن التعريفات الجامعة ما ذكره حسام فرج بقوله: ((ويكاد يتفق أغلب الباحثين على أنَّ التناص يعني استحضار نصّ ما لنصٍ آخر، ويعني كذلك تلك العناصر الموجودة في نص ما وتربطه بنصوص أخرى، النصوص بذلك تُشكَّل من نصوص أخرى وتنبني كذلك من مضامينها))[2].

هذا وقد تفاوتت نظرة العلماء إلى أقسام التناص وأشكاله وأنماطه، فمنهم من يرى أنَّ التناص ((إمَّا أن يكون اعتباطياً، يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي، وإمَّا أن يكون مقصوداً يوجّه المتلقي نحو مظانّه))[3]، ومنهم من يفرق بين التناص الداخلي "intertexte " والتناص الخارجي " intertexte " ، وآخر يجعل التفاعل النصّي ثلاثة أوَّلها: التفاعل التصي، وثانيها: التفاعل النصّي المعاصر، وثالثهما: التفاعل النصّي الخارجي[4]، وآخر يفرق بين التناص المباشر وغير المباشر[5].

وبعد استقراء لما سبق حول التناص يمكننا أن نخلص إلى مايلي:

أ- هناك قاسم مشترك بين كلّ التعريفات السابقة جلها يتمثَّل في أنَّ التّناص تداخل بين النصوص أو بين أجزاء النص الواحد إذ يفسّر بعضها بعضاً.

ب- يقع التناص بين النصوص المختلفة، ويقع كذلك بين أجزاء النص والواحد.

---

[1]- أحمد الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، (دراسة تطبيقية للتناص في رواية . رؤيا . لهاشم غرايبة، وقصيدة "راية القلب" لإبراهيم نصر الله)، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط، 2000م، ص11.

[2]. يسرى نوفل، ص171.

[3]. ينظر للتفصيل:

أ- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالية للنشر "لونجمان" ط1، القاهرة، ص154.

ب- محمد عزام، النص الغائب، ص40.

ت- أحمد عفيفي، ص39.

[4]- سعيد يقطين، ص100.

[5]- عزة شبل، ص79. 80.

ج- يتضمَّن التناص العلاقات بين نصٍ ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة[1].

د- كل فهم للمصطلح بمعزل عن الشعر والثقافة العربية وسائر المصطللحات جدير ببعض الشك[2].

ومن ذلك يبدو لنا أنَّه لا مناص من التناص؛ لأنَّ الإنسان لا يستطيع الابتعاد عنه، كيف يكون ذلك؟ وهو لا يستطيع أن يكتب إلَّا إذا قرأ أولاً، وبعد قراءات تطول وتتركز في ذاكرته يبدأ في الكتابة وهو لا يدري أنَّ هذه الكتابة ماهي إلا خلاصة لكل ماقرأ.

[1]. روبرت دي بوقراند، ص104.

[2]. مصطفى ناصف، اللغة والبلاغة والميلاد الجديد، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت، 1992، ص9.

الفصل الثالث : السبك النحوي في معاهدة الحديبية

المبحث الأوّل : الإحالة والربط في معاهدة الحديبية

المبحث الثاني : الحذف والاستبدال في معاهدة الحديبية

المبحث الأول

الحذف والإحالة

تمهيد:

تسمى معاهدة الحديبية ببيعة الرضوان، وهي من أشهر المعاهدات التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين في مكة، وكان ذلك في آخر السنة السادسة للهجرة عندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يريد زيارة البيت لايريد قتالاً وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة؛ ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنَّه إنما ذهب زائراً لهذا البيت ومعظّماً له، فاعترضته قريش، وأخبرهم أنَّه لم يأت لقتال ولايريد حرباً، ولكن رغم ذلك منعوه أن يدخل حتى ولو لم يريد قتالاً، فبعثوا له عدداً من الرسل منهم مِكرز بن حفص بن الأخيف، والحليس بن علقمة، وعروة بن مسعود الثقفي.

أمَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أرسل إليهم خراش بن أمية الخزاعي، وعثمان بن عفان، فاحتبست قريش عثمان بن عفان، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قُتل، فقال صلى الله عليه وسلم: ((لانبرح حتى نناجز القوم))، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فبعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمَّا رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل))، وعندما انتهى سهيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم، تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له [1]: ((اكتب[2]، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنَّه

---

[1]- ابن هشام، السيرة النبوية، تح: سيد إبراهيم، وآخرون، ج3، دار الحديث، للطبع والنشر والتوزيع، 2006م، ص229-237.

[2]- هنا قام الباحث بحذف بعض الجمل التي أثارت سهيل ؛ وذلك لأنها من قبيل الحوار والمداولة التي لا علاقة لها بنص المعاهدة ومضمونها، والمحذوف هو:

((بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال: اكتب هذا ماصالح عليه محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو، قال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله...)).

من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردَّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممَّن مع محمد لم يردوه عليه، وإنَّ بيننا عيبة مكفوفة، وأنَّه لا إسلال ولا إغلال، وإنَّه من أحبَّ أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحبَّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وإنَّك ترجع عنَّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنَّه إذا كان عامٌ قابلٌ خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب: السيوف في القِربِ، لا تدخلها بغيرها، فلمَّا فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين، ورجالاً من المشركين: أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة، ومِكرز بن حفص، وهو يومئذٍ مشرك، وعلي بن أبي طالب، وكان هو كاتب الصحيفة))[1].

أولاً- الحذف:

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، لكنها في اللغة العربية أكثر ثباتاً ووضوحاً؛ لأنَّ اللغة العربية من خصائصها الأصلية الميل إلى الإيجاز، والاختصار، والحذف يعد أحد نوعي الإيجاز وهما: القصر والحذف، وقد نفرت العرب مما هو ثقيل في لسانها ومالت إلى ماهو خفيف.

أ- تعريف الحذف:

الحذف لغةً هو قطع الطرف، والطرح ومنه الحجّام يحذف الشعر وفي الاصطلاح: هو حذف جزء من الجملة الثانية، والدال عليه بدليل في الجملة الأولى مثال ذلك: أين رأيت السيارة؟ في الشارع.، فالمحذوف من الجملة؛ رأيتها والدليل عليه هو الفعل "رأيت" الوارد في الجملة الأولى.[2]

والحذف كما يبدو هو خلو موقع في البنية يملؤه المتلقي من السياقات القبلية ويعدُّ الحذف من أدوات التماسك النصي كما أكد على ذلك "هاليداي" و "رقية حسن" في كتابهما cohesion in English وأفردا له قسماً كبيراً فيه، وقد اعتنى علماؤنا القدامى من قبل،

---

[1]- ابن هشام، ص237.

[2]- ابن منظور لسان العرب، مادة (ح ذ ف).

وتحدث فيه وفي قضاياه النحاة والمفسرون والبلاغيون وعلماء الكلام، لما له من أهمية كبيرة في المعنى الذي يقدمه النص.

ب-أنماطه:

يتحدث علماء النص اليوم عن أنماط محددة للحذف وتجري هذه الأنماط في الدراسات التطبيقية لهذا العلم، وبالرجوع لأنماط الحذف التي حددها علماء العربية القدماء نجد أنَّ منها ما يتقاطع مع التحديد الحديث لعلم النص كالحذف الاسمي، والفعلي، والجملي، ومنها ما يبرز من زاوية أخرى كالحذف الجائز والممتنع والواجب، ويمكن أن نبين ذلك من خلال الآتي:

1- أنماط الحذف عند القدماء:

أ- حذف الاسم: يحذف الاسم المضاف والمضاف إليه، والموصول والصلة، والموصوف والصفة، والمعطوف والمعطوف عليه، والمبتدأ والخبر، والمفعول وما إلى ذلك، ولاشك أنَّ هذه المواضع قد تكون أسماء وعبارات، أو جملاً ولكنها تؤول إلى مفرد.

ب- حذف الفعل وحده أو مع مضمر مرفوع أو منصوب وهذه المواضع تشكل جملاً.

ج-حذف الجملة، كحذف جملة القسم، وجواب القسم، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط.

د- حذف الحرف أو الأداة، كحذف حرف العطف، وفاء الجواب، و واو الحال، وقد، وما المصدرية، ولام الطلب، وحرف النداء، وما إلى ذلك.

هـ-حذف الكلام بجملته.

و- حذف أكثر من جملة.

2- أنماط الحذف عند علماء النص:

ذكر "هاليداي" و"رقية حسن" ثلاثة أنماط للحذف وهي:

أ- الحذف الاسمي ب- الحذف الفعلي ج- الحذف القولي[1]

[1] - سالم المنظري، ص107.

وأمثلة الحذف الاسمي والفعلي هي المضروبة لأنماط الحذفين المماثلين لهما عند العرب، أما القولي، فيعني به حذف شبه الجملة والظرف مثلاً، وأنَّ أكثر أنماط الحذف تكراراً هي العناصر التي تحذف من جملة الاستفهام وذلك مثل: هم سوف يعملون فيها طوال الليل هل ستعمل؟[1]

ج- بعض قضايا الحذف:

1- الحذف على مستوى الجملة.

يذكر علماء النص أنَّ الحذف على مستوى الجملة الواحدة لايحقق للنص شيئاً من التماسك والترابط، بخلاف ما لو كان على مستوى الجملتين أو مجموعة الجمل والحجة في ذلك أنَّ العلاقة بين طرفي الجملة لا تتعدى بنيوية فقط[2].

فلو قلنا مثلاً: ذهب المعلم وطلابه إلى حديقة النباتات ... وهناك شاهدوا أنواعاً كثيرة من النباتات التي لم يروا مثلها من قبل.

فنلحظ أنَّ غياب الفعل "ذهب" غياباً بنيوياً عن الفاعل "طلابه" أحدث إيجازاً وخفّة في النطق على مستوى الجملة الأولى، ولكنه لم يتمكن من إيجاد صلة ترابط الجملة الأولى بالجملة الثانية مثلاً، وهذا تفسير هذه القضيّة.

2- العلاقة بين الحذف والاستبدال:

يسمي العالم "هاليداي" و"رقية حسن" الحذف بالاستبدال الصفري أو zero substitution، لأنَّ الاستبدال علاقة بين لفظين وردا في النص، والحذف علاقة بين لفظين ورد أحدهما في النص وحذف الآخر، كما في المثال الآتي: خالد اشترى بعض الكتب، وسعيد (...) بعض قطع الحلوى، فالمكان الخالي بين القوسين يطلق عليه الصفر لأنَّه خالي من الكلام[3].

---

[1]- سالم المنظري، ص107 – 109.

[2]- محمد خطابي، لسانيات النص، ص22.

[3]- سالم المنظري، ص111.

3- العلاقة بين الحذف والمرجعية:

تحدث "سيبويه" عن القرائن التي تدل على المحذوف في أكثر من باب في كتابه، وتحدث "الفرَّاء" عن أهمية القرينة في تقدير المحذوف، و"ابن جني" عن الأمر نفسه في الخصائص، وغيرهم كـ "ابن هشام" ذكر ثمانية شروط للحذف أولها وجود دليل حالي أو مقالي للمحذوف، ويتفق علماء النص مع علماء العربية الأوائل في وجوب وجود دليل على النص المحذوف، أيّاً كان نوعه، مفرداً أو جملة أو أكثر، ويؤكد ذلك كلام العالم "هاليداي" و "رقية حسن" في هذا الجانب، إذ يقولان:(أينما يوجد الحذف أفترض مقدم أو دليل عليه).

وإذا تأكد لدينا وجود مرجعية للحذف وجب علينا البحث في هذه المرجعية أهي داخلية أم خارجية؟ وإذا كانت داخلية، أهي قبلية أم بعدية؟ يمكن أن تكون مرجعية الحذف خارجية ويمكن أن تكون داخلية، بحسب حالة المحذوف، إذ يمكن أن تكون المرجعية خارجية إذا كان الحذف في إطار الجملة الواحدة لذا فإنَّه لن يكون ذا فائدة في تحقيق التماسك النصّي، ويمكن أن تكون المرجعية داخلية إذا كان الحذف يطال أكثر من جملة كما في قول خلف الأحمر:

نحن بما عندنا وأنت بما عند *** دك راضٍ والرأيُ مختلفٌ

فالتقدير:(نحن بما عندنا راضون)، وعرف ذلك من (راضٍ) في الشطر الثاني وهكذا يحدث الترابط بين الشطرين، والمرجعية إن كانت بين المذكور والمحذوف فإنها تكون داخلية قبلية، وإن كانت بين المحذوف والمذكور فإنها تكون داخلية بعدية[1].

4- مهمة المتلقي في الحذف:

يقوم الحذف على علاقة مشتركة بين المرسل والمتلقي، إذ يحذف المرسل من النص ما يراه معلوماً لدى المتلقي، وتبرز مهمة المتلقي في اكتشاف العناصر المحذوفة من النص وذلك حينما يجد في النص فراغاً فيعمد إلى الخطاب السابق للبحث عمّا يسد به هذا الفراغ وفي ذلك يذكر الدكتور مصطفى حميدة (أنَّ النحاة أقاموا صرح علم النحو العربي على

[1] - سالم المنظري، ص111.

دراسة مهمة المتلقي لا مهمة المتكلم... فقد استنبطوا قواعدهم باستقراء الأداء الذي يتلقاه المتلقي)[1].

وفي ثلاثينيات القرن الماضي ظهرت نظرية التلقي التي تفيد أنَّ المعنى والبناء ينتجان عن تفاعل القارئ مع النص؛ ولهذا نجد المتلقي يحتل اليوم مكانة مهمة عند النقّاد[2].

التطبيق:

إنَّ من معايير الفصاحة أن يحذف الشخص من نصه مالا يجد داعياً لذكره من ألفاظ و ليس من الممكن أن يحول كل شيء يقوله أو يفهمه إلى جمل كاملة؛ لأنَّ الاكتمال النحوي أحياناً ينتج تراكيب لافائدة فها، ومن ثمَّ حذفها يكون أبلغ من ذكرها، وفيما يلي يتم تطبيق معيار الحذف حسب وروده في نص المعاهدة؛ لمعرفة دوره في الترابط النصي في معاهدة الحديبية:

موضع الحذف	تقدير المحذوف	الدليل عليه	المرجعية	سابقة	لاحقة
يدخل في عقد قريش وعهدهم	و"في" عهدهم	في	داخلية		ــ
فأقمت بها ثلاثاً	ثلاث "ليالٍ"	فدخلتها بأصحابك	خارجية		ــ
ورجالاً من المشركين	"أشهد"	"أشهد"	داخلية		ــ

من الجدول أعلاه نلاحظ أنَّ الحذف استطاع أن يحقق للنص دوراً كبيراً من تماسك وترابط أجزائه التي حدث فيها الحذف ويتمثل ذلك في الآتي:

1- تعدد الحذف في المعاهدة دليل واضح على أنَّ النص يتمتع بنصية طبيعية، لها مأخذ عجيب، وأسلوب رائع تتجلى فيه مقولة عبد القاهر الجرجاني ـ عن الحذف ـ إذ قال: ((هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك

[1]ـ مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية، ص20-21

[2]ـ عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية،ع 232، ص322. 323.

الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن))[1]

2- أن مرجعيات الحذف الداخلية، أسهمت في تحقيق التماسك النصي، بخلاف المرجعيات الخارجية.

3- أن الحذف كان واضحاً لدى المتلقي وضوحاً كاملاً، ولم يؤدي إلى أي غموض بسبب وجود القرائن الدالة على المحذوف كما موضح في الجدول.

4- نلاحظ أن الحذف جعل النص موجزاً ومسبوكاً بطريقة تجعل القارئ يستشعر انسياب النص في ذهنه بكل سهولة ويسر، فلو قال مثلاً: من دخل في عقد محمد وفي عهده، أو أشهد رجالاً من قريش وأشهد رجالاً من المسلمين، لكان حال الجملة فيه نوع من الأطناب المخل إن كان سبك النص عموماً على هذا المنوال، ولكنة لمّا فعَّل عنصر الحذف أصبحت الجملة أخف وأسهل نطقاً وإدراكاً، بعيداً عن الحشو والتكرار.

مما سبق يتضح لنا جلياً أنَّ معيار الحذف أسهم في تحقيق التماسك والترابط الشكلي للمعاهدة.

ثانياً- الإحالة:

أ- تعريف الإحالة:

تعددت تعريفات الإحالة عند علماء النص وتكاد تتفق في مدلولاتها، فقد ذهب "كلايمر" إلى أنَّ الإحالة هي العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه عنصر علاقة، وضمائر يطلق عليها "صيغ الإحالة" وتقوم المكونات الاسمية وظيفة عناصر العلاقة أو المفسر أو العائد إليه[2].

ويذهب صاحب معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات إلى أنَّه: (ينبغي التفريق بين الإحالة والمرجع، فالإحالة: تشير إلى تلك العلاقة التي يمكننا إقامتها داخل الملفوظ بين المجموعة الاسمية تحديداً والموضوع المقصود من طرف المخاطب انطلاقاً من استعماله

---

[1]- الجرجاني، ص106.

[2]- سعيد بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص98.

لهذه المجموعة، بينما المرجع: يشير إلى موضوع خارجي لساني خاص ومحدد داخل الزمن ولا تهتم به اللسانيات، وإنَّما تهتم به الإحالة)[1]

ويرى سعيد بحيري أنَّ الإحالة: (تطلق على قسم الألفاظ التي لاتملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب)[2].

وهذا ما ذهب إليه من قبل "هاليداي" و "رقية حسن": (من أن العناصر المحلية لاتكتفي بذاتها من حيث التأويل، بل لابدَّ من العودة إلى ماتشير إليه من أجل تأويلها)[3].

مما سبق نلاحظ أنَّ الإحالة تشير إلى علاقة بين لفظ معين كالضمير أو اسم الإشارة أو الاسم الموصول، وبين محال عليه كاللفظ أو المعنى، وتكون داخلية وخارجية اعتماداً على وجود المحال عليه داخل النص أوخارجه، كما تكون قبلية وبعدية اعتماداً على تقدم المحال عليه وتأخره، وسيتضح ذلك عند الحديث عن أنواع الإحالة.

أ- أهمية الإحالة:

تكمن أهمية الإحالة في أمرين:

1- تحقق التماسك النصي والربط التركيبي والدلالي بين أجزاء النص، لاسيما المتباعدة منها؛ إذ تكرار الألفاظ قد يؤدي إلى حدوث لبس أو غموض في فهم النص، ولكن الإحالة عليها كفيلة بأن تحقق في النص توازناً واعتدالاً.

2- الاقتصاد اللغوي، إذ يسعى معيار الإحالة إلى الإيجاز في النص والاقتصاد في سرد الألفاظ؛ ولهذا نجد "دي بوجراند" يعدّ الإحالة من البدائل المهمة في إيجاد الكفاءة النصية، ويذكر أنها صياغة أكبر كمية من المعلومات باتفاق أقل قدر ممكن من الوسائل[4].

---

[1]- ماري نوال غاري بربور، معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات،، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، ط1، سيدي بلعاس، الجزائر،2007م، ص89.

[2] - سعيد بحيري، ص99.

[3]- محمد خطابي، ص17.

[4]- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص118.

ب-**عناصر الإحالة:**

تتوزع عناصر الإحالة في النص على الآتي:

1- اللفظ المحيل: ويمكن أن يكون ضميراً أو اسماً موصولاً[1].

2- المحال عليه: كأن يكون لفظاً أو جملة أو فقرة أو نصاً بأكمله أو معنى خارج النص يدل عليه السياق.

3- العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال عليه، وينبغي أن تكون المطابقة هي العلاقة الجامعة بين الاثنين.

أ- وسائل الاتساق الإحالية:

1- الضمائر:

والضمائر تربط بين النص كثيراً وتكون إحالتها داخلية "endophoric" وخارجية "exphoric" وقبلية "anaphoric" وبعدية "cataphoric". وليست وظيفتها في النص إحلالها محل الأسماء الظاهرة فقط بل إنَّ لها دوراً مهماً في تحقيق التماسك النصي وقد تحدَّث النحاة القدامى عن الضمائر وأنواعها وذكروا فيها تفاصيل كثيرة استفاد منها علم النص الشيء الكثير[2].

لا أجد المجال لسرد شيء منه، وتنقسم الضمائر في التحليل النصي إلى نوعين:

أ- ضمائر وجودية، مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هي، هنّ...الخ.

ب- ضمائر ملكية، مثل: أسرتي، أسرتها، أسرتك،أسرتهم...الخ.

والضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب لاتسهم في تحقيق التماسك النصي؛ لأنَّها تحيل على ذات خارج النص، فـ "تاء" الفاعل مثلاً في جملة (أديت صلاتي) لايوجد ذكر صريح في النص، لصاحبها؛ وبذا فإنَّها لا تفيد النص في تماسك أجزائه، إلا إذا جيء بهذه

---

[1]- سالم المنظري، ص74.

[2]- نظر: إبراهيم محمود خليل، السياق وأثره في الدرس اللغوي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية،1411هـ . 1990م، ص235.

الضمائر في سياق الكلام المستشهد به، كقول الله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا)[1]، فالإحالة هنا داخلية لأنها مبنية من النص نفسه.

أما الضمائر التي تؤدّي دوراً حيوياً في تحقيق التماسك النصي فهي ضمائر الغيبة (هو، هي، أسرتها، أسرته...الخ)، إذ تربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه، وفي ذلك يقول "هاليداي" و "رقية حسن": (حين نتحدث عن الوظيفة الاتساقية لإحالة الشخص؛ أي الضمير المحيل على الشخص أو الشيء، فإنَّ صيغة الغائب هي التي نقصد على وجه الخصوص).

2- أسماء الإشارة:

والإشارة معنى من المعاني اللغوية التي لاتقوم بذاتها وإنما يتضح معناها بتوفر أركانها، وأركانها هي:

أ- المشير: المتكلم.

ب-المشار إليه: الشيء الخارج.

ج- المشار له بالمشار إليه: المخاطب.

د-المشار به: لفظ الإشارة.

هـ-عمل الإشارة: المعنى الحاصل من الإشارة.

وتكون إحالة الإشارة داخلية وخارجية، كما تكون قبلية وبعدية، وقد تكون موسعة إذا أحالت على عدة أشياء، وتشمل أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والظروف.

وتقسم الإحالة الإشارية بحسب المدى الفاصل بين اسم الإشارة والمحال إليه إلى[2]:

أ- إحالة ذات مدى قريب، على مستوى الجملة الواحدة إذ لاتوجد فواصل تركيبية جملية.

---

[1]- الحجرات، الآية14.

[2]- سالم المنظري، ص77 – 78.

ب- إحالة ذات مدى بعيد، وتجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص، وتتجاوز الفواصل والحدود القائمة بين الجمل؛ وكلا النوعين يؤديان وظيفة الربط بين أجزاء النص وتحقيق تماسكه.

3- أدوات المقارنة:

تختلف أدوات المقارنة عن الضمائر وأسماء الإشارة من إذ أنَّها لاتعمل من خلال تحديد المحيل والمحال عليه، وإنما من خلال إيجاد علاقة مقارنة صريحة مع المحال عليه[1].

وهذه العلاقة يمكن أن تكون[2]:

أ- عامة: تتمثل في التطابق باستعمال عناصر كـ (نفس) والتشابه باستعمال عناصر كـ (مثل) والتقابل باستعمال عناصر كـ (آخر)

ب- خاصة: تتمثل في الوصف الكمي كـ (أكثر) والكيفي كـ (أجمل من)، وهذه الأدوات تسهم جميعها في تحقيق الاتساق النصي، فهي تكون داخلية، وخارجية، وقلبية وبعدية، واكتشافها يعتمد على دقة قارئ النص في الجمع بين الألفاظ وما يقارنها.

ج- أقسام الإحالة:

يقسم علماء النص الإحالة إلى:

1- الإحالة الخارجية "exophora": وهي الإحالة على ماهو خارج النص أو اللغة، إذ يشير هذا المصطلح إلى الأنماط (اللغوية) التي تشير إلى الموقف وأسبابه أو ما يسمى بسياق النص عموماً، ويمثل هذا أسباب النزول في الآيات القرآنية، والمواقف التاريخية، وهذا النوع من الإحالة يرتبط بالموقف الاتصالي الذي يحدث تفاعلاً بين اللغة والموقف.

2- الإحالة الداخلية "endophora": وهي الإحالة على ماهو داخل النص أو اللغة، ويتخذها "هاليداي" و "ورقية حسن" معياراً للإحالة؛ وذلك لأنها تقوم بدور فاعل في اتساق النص، بخلاف الإحالة الخارجية التي تسهم في خلق النص بينما لا تسهم في اتساقه بشكل مباشر[3].

---

[1]- مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر، 2008م، ص226.

[2]- محمد خطابي، ص19.

[3]- سالم المنظري، ص80.

وتنقسم الإحالة الداخلية إلى:

أ- إحالة قبلية "anaphora": وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة.

ب- حالة بعدية "cataphora": وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة[1]، ويشبه هذا في النحو العربي ضمير الشأن كضمير (هو) في قوله تعالى: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ))[2] .

والنحاة العرب وقفوا كثيراً عند قضية تقدم المفسر أو تأخره عن مفسره، وهذا يندرج تحت مبحث الإحالة البعدية، ومجمل كلامهم في ذلك أنهم يجيزون تقدُّم المضمر في اللفظ والرتبة على مفسره، متى كان حق ذلك المضمر التأخير، كقولك: لقيت في داره زيداً، ويمنعون تأخر المفسر لفظاً ورتبة على مضمره، متى كان حق المفسِر التأخير كقولك: ضرب غلامه زيداً[3].

التطبيق:

بعد أن تحدثنا عن الإحالة ومفهومها وأهميتها وعناصرها وأقسامها، ووسائلها المستخدمة في تلك المقدمة التمهيدية نعمد الآن إلى مجال تحليل هذا المعيار "الإحالة" في معاهدة الحديبية (موضوع الدراسة)، علماً بأنَّ الغرض من هذا التحليل هو بيان مدى دور معيار الإحالة في تحقيق التماسك النصي لهذه المعاهدة، وسيتم تناول الإحالات حسب وسائلها المستخدمة وهي: (الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة).

أ- الضمائر:

بعد استقراء الضمائر المنتشرة في النص وإحصائها نجد أنها وردت بأعداد متفاوتة كما يظهر ذلك في الجدول أدناه:

---

[1]- المرجع الساق، ص80.

[2]- الإخلاص الآية1.

[3]- يمكن تتبع هذه المسألة في: الخصائص، لابن جنّي 295/1، و أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، ص1219 . 1224.

توزيع الضمائر في المعاهدة حسب المحال إليه ونوع الضمير:

المحال عليه	المخاطب	المتكلم	الغائب	المجموع
الله عزَّ وجلَّ	–	–	3	3
النبي صلى الله عليه وسلم	1	1	9	11
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم	10	–	8	18
قريش	–	4	15	19
أشياء أخرى (ضمير الشأن، مكة، الناس، السيوف)	–	1	12	13
المجموع	11	6	47	64

مما سبق نلاحظ أنَّ هنالك ذوات مثَّلت محاور أساسية دار حولها فكثرت عليها الإحالات وهذه المحاور هي: (قريش، النبي صلى الله عليه وسلم، أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)، وتوزعت عليها الضمائر بنسبات متفاوتة على النحو الآتي:

1- حصول قريش على نسبة (29%)؛ لأنَّ أكثر بنود الاتفاقية كانت لصالحها كما يبدو لقارئ النص، فقد كان لهم الحق في استرداد من لحق بمحمد صلى الله عليه وسلم من أتباعهم، في حين أنَّه لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم الحق في استرداد من لحق بقريش من أصحابه؛ فكان ذلك سبباً في استيلائهم على ضمائر النص، وهذا مادفع عمر بن الخطاب إلى توجيه بعض الأسئلة لأبي بكرٍ الصديق والنبي صلى الله عليه وسلم مثل: (ألسنا بمسلمين؟ وأليسو بمشركين...)[1] على الرغم من أنها لم تتحقق هذه المصالح في الواقع لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان موقناً بأن هذا الصلح سيعود على الإسلام بخير؛ فكان فتح مكة.
2- أمّا محور النبي صلى الله عليه وسلم فقد حصل على (28%).
3- كما حصل أصحابه على (7%)، وقد نالهم النصيب الأقل من إحالات الضمائر.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاصدين مكة لأداء العمرة، ولكن قريش منعتهم من ذلك وكانت لهم بالمرصاد، وحالت دونما تحقيق هذه الأمنية التي كانوا يمنون

[1]. انظر السيرة النبوية، لابن هشام، ص229 ومابعدها.

أنفسهم بها؛ فكان ذلك سبباً في قلة عودة الضمائر إليهم؛ إذن كثرة الضمائر وقلتها هنا مقترنة بمدى تحقيق كل محور لأغراضه ومراميه، وقد توافرت هذه الضمائر في النص بقدر كبير، بلغت 64 ضميراً، لاسيما ضمائر الغائب، إذ أسهمت بدور حيوي في تحقيق الترابط النصي في المعاهدة، أما الإحالة البعدية فقد وردت في موضعين اثنين في كلمة (فتواثبت) الواردة مرتين في النص، أحالت الأولى منهما على قبيلة خزاعة وأحالت الثانية على قبيلة بني بكر، كما نلحظ عدم وجود ضمائر تعود إلى الله عزَّ وجلَّ إلا في مقام الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم ونلاحظ أيضاً أن النص حفل بجملة من الإحالات الخارجية سوف يتم توضيحها من خلال النص الآتي: ((اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنَّه (الشأن)، من أتى (المسلم حديثاً من قريش) محمداً من قريش بغير إذن وليه ردَّه عليهم "مشركي قريش"، ومن جاء (المسلم الصحابي) قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وإنَّ بيننا "نحن" عيبة مكفوفة، وأنَّه (الشأن) لا إسلال ولاإغلال وأنَّه (الشأن) من أحب "أي أحد" أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ومن أحب (أي أحد) أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا (أفراد قبيلة خزاعة): نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا (أفراد قبيلة بني بكر): نحن في عقد قريش وعهدهم وأنَّك (أنت) ترجع (أنت) عنَّا (نحن) عامك (أنت) هذا، فلا تدخل "أنت" علينا "نحن" مكة، وأنَّه "الشأن" إذا كان عامٌ قابلٌ خرجنا "نحن" عنك "أنت" فأقمت "أنت" بها ثلاثاً معك "أنت" سلاح الرَّاكب: السيوف في القُرَب، لا تدخلها (أنت) بغيرها)).

ومن خلال هذا النص نلحظ توافق الضمائر الإحالية مع العناصر المحيلة عليها خارج النص من حيث العدد والجنس، وذلك دليل على قيام الربط بين الضمائر والعناصر، وأسهام الضمائر في ربط لغة النص بسياقها من خلال إحالتها إلى العالم الخارجي، وهذا يجعل الاتصال قوياً وواضحاً ومباشراً بين المحاور الرئيسية في النص، وكان من أقوى هذه الضمائر اتصالاً بالسياق ضمير الشأن الذي تمّ تكراره (4) مرات في النص، كذلك يوجد تفاعل كبير بين المتلقي ولغة النص، بدليل أنَّه قادر على إدراك العناصر المحال عليها خارج النص بكل وضوح؛ ومن ثمَّ، فإنَّه يتأكد لدينا نجاح عملية الإحالة، ورغبة المتلقي في الاستمرار مع النص،كما الملاحظ أنَّ قريش سيطرت على أغلبية ضمائر المتكلم وهذا دليل

على أنها تطمع في كسب المعاهدة ولا تلتزم إلا بأقل الواجبات رغم أنَّ المعاهدة تلزم الطرفين بحقوق وواجبات ليحصل اتفاق موضوعي بين الطرفين، وهذا واضح في نص المعاهدة بأن جميع ضمائر المتكلم كانت موجهة من قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم مثل:((فلا تدخل "أنت"، وأنك "أنت"، ترجع "أنت"، فأقمت "أنت" معك "أنت")).

أ- أسماء الإشارة:

وردت الإحالة الإشارية في هذه المعاهدة في خمسة مواضع وهي مايأتي:

((هذا ما صالح عليه... على أنَّه من أتى محمداً من قريش... ومن جاء قريشاً ممن مع محمد... ترجع عنا عامك هذا...الخ)).

وباستقراء هذه الإحالات الإشارية نجد أنَّ الإحالة الإشارية شملت أسماء الإشارة وأسماء الموصول، إذ بلغ عدد إحالات أسماء الإشارة إحالتين فقط، الأولى بعدية، والثانية قبلية، تمثلت في اسم الإشارة المفرد المذكر "هذا" بينما بلغ عدد إحالات الأسماء الموصولة ثلاث إحالات منها، تمثلت في اسمين موصولين هما "ما، من"، وباعتبار أنَّ الأسماء الموصولة لاتقوم ذاتها وإنما بما يأتي بعدها من الصلة والعائد وإنَّ جميع إحالاتها جاءت إحالات بعدية، إذ أحال اسم الإشارة "هذا" على متن النص بأكمله وهذه الإحالة بلفظ كمي كلي، بخلاف إحالة اسم الإشارة الثاني "هذا" فإنَّه يحيل على مفرد واحد وهو "عام" بوصفه شيئاً موجوداً، كما أنَّ جميع الإحالات الإشارية الواردة في النص إحالات ذات مدى قريب إذ لايتعدى الفاصل بين اللفظ المحيل أو العنصر المحال عليه جملة واحدة وهذا القرب بين اللفظين جعل للإحالة دورقوياً في السبك والربط بين اللفظين.

ب-أدوات المقارنة:

فيما يلي سنورد ثلاثة أمثلة للمقارنة بين العبارات مثّل الأول أداة التقابل ومثّل الثاني والثالث أداة التشابه.

1- **التقابل:** المقارنة بالتقابل بين جملتين متقابلتين هما:

لجوء القرشيين إلى النبي صلى الله عليه وسلم	لجوء المسلمين إلى قريش.
من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم.	من جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه.

جاءت الجملتان متشابهتان في الشكل والبناء ولكن الذي عدلهما عن صفة التشابه إلى صفة التقابل هو تقابل الفعلين "ردّه" و "ولم يردّوه"

2- المقارنة بالتشابه بين جملتين متشابهتين هما:

دخول عقد محمد صلى الله عليه وسلم.	دخول عقد قريش.
من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه.	من أحب أن يدخل في عفد قريش وعهدهم دخل فيه.

جاءت الجملتان متشابهتان أيضاً الهيكل والبناء، مع اختلاف كلمة واحدة في كل منهما تمثلان بؤرة الكلام، وهما: "محمد" و "قريش"

3- المقارنة بالتشابه بين جملتين متشابهتين هما:

خزاعة في عقد محمد صلى الله عليه وسلم	بنو بكر في عقد قريش
فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده	وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم

وهاتان الجملتان تشابهتا أيضاً في الهيكل والبناء؛ لذا استحقتا صفة التشابه ولو أمعنا النظر في هذه الجمل المقارن بينها أنها أحدثت في النص تعاضداً وتلاحماً بين أجزاءه؛ إذ تمثل كل جملة موقفاً يتشابه أو يتباين مع الموقف الآخر تجعل القارئ لايتوقف عند جملة واحدة فقط بل لابد له حتى يصل إلى المعنى المراد، وهذا من أوجه التماسك الواضح بين الجمل في النص، هذا وقد اتضح لنا ـ بعد هذه الجولة الطويلة ـ في معاهدة الحديبية، مدى قدرة الإحالة على الربط بين أجزاء النص، وإحداث التلاحم والترابط من غير أن يكون ذلك لافتاً لانتباه القاري وإنما يسير في سجية ويسر.

المبحث الثاني

الربط والاستبدال

أولاً- الربط:

أ- تعريفه:

هو علاقة تصنعها اللغة بين المعنيين داخل الجملة الواحدة أو بين الجملتين؛ لأمن لبس الارتباط أو لأمن لبس الانفصال[1]، فاللغة تلجأ إلى الربط أحياناً وإلى الانفصال أحياناً أخرى، بحسب تفصيل معين سيأتي فيما بعد، وفي كتاب "cohesion in English" جعل هاليداي ورقية حسن العطف ـ كما يسميانه ـ ضمن وسائل الاتساق التي حدداها وهي: (المرجعية، والإبدال، والحذف، والعطف، والتماسك المعجمي)[2]، ويختلف الربط عن غيره من وسائل الاتساق النصي في أنَّه لايتضمن إشارة موجهة للبحث عن العنصر المفترض في السابق أو اللاحق.[3]

ب-الربط عند القدماء:

وقد تحدث علماء العربية القدماء كـ (الجرجاني)،"والسكاكي" و "الزركشي" عن العلاقة بين المعطوف والمعطوف علية من ذلك ما قاله الجرجاني في دلائل الإعجاز[4]من أنَّ الجملة تكون على ثلاثة أضرب:

1- جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد وهذه لايكون فيها العطف، وتمثل كمال الاتصال، كقوله تعالى: ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا))[5]، فالذي في أذنيه وقراً هو المقصود ذبعينه من التشبيه بالذي لم يسمع إلا أن الثاني أبلغ.

---

[1]. مصطفى حميدة، ص146.

[2]. سالم المنظري، ص95.

[3]. محمد خطابي، ص22.

[4]. الجرجاني عبد القاهر، ص156.

[5]. لقمان الآية7.

2- جملة حالها مع التي قبلها حال التي مع الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في الحكم ويدخل معه في المعنى، وهذه يكون فيها العطف وتمثل وسطاً بين الاتصال والانقطاع كقولة تعالى: ((اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ))[1]، فالأولى أشركت الثانية معها في الحكم.

3- جملة لاعلاقة لها مع التي قبلها، بل يكون حالها حال الاسم مع الاسم ولاعلاقة بينهما، وهذه لايكون فيها العطف، وتمثل كمال الانقطاع، كقوله تعالى: ((إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ))[2]، فالأولى حكاية عن الكافرين والثانية خبر من الله تعالى.

ونلحظ من ذلك أنَّ الوصل لايتم بين المعطوف والمعطوف عليه إلا في ظل وجود جهة جامعة بينهما، يمكن أن تكون هذه الجهة دلالية كالحالة الأولى ويمكن أن تكون دلالية أو شكلية كالحالة الثانية، وأداة العطف لاتكتسب معناها العطفي إلا من خلال تراكيب العطف الموجودة فيه.[3]

ج- الربط عند المحدثين:

قسم علماء النص الربط ـ انطلاقاً من تصنيف القدماء ـ إلى قسمين:

1- الربط بالأداة:

وهو أن تربط أداة من أدوات العطف بين العطف والمعطوف عليه، وكما سنلحظ أن علماء النص لم يقصروا قيام العطف بأدوات العطف المتعارف عليها كما في النحوالعربي، (الواو، الفاء، ثمّ، أو، لكن)، وإنما رأوا أنَّ ثمة عدداً من الألفاظ أو العبارات تفيد معنى العطف، فعدوها من أدوات العطف، وعموماً فإنَّ علماء النص يقسمون تلك الأدوات بحسب المعاني التي تفيدها إلى:

أ- أدوات تفيد مطلق الجمع "conjunction" مثل: واو العطف،أيضاً، علاوة على ذلك، فوق هذا،إضافةً إلى هذا.

ب-أدوات تفيد التخيير "disjunction" مثل: أو، أما.

---

[1]- البقرة، الآية15.

[2]- البقرة، الآية14- 15.

[3]- صبحي إبراهيم الفقي، ص249.

ج- أدوات تفيد الاستدراك "contrajunction" مثل: لكن، مع ذلك، عاى الرغم من هذا.
د- أدوات تفيد التبعية أو التفريغ "subordination" مثل: لأنَّ، من ثمَّ، بناءً على هذا، إذن، نظراً لـ.[1]

مما سبق نلحظ أن هذا التقسيم لم يكن شاملاً لكل أدوات العطف أو معانيها التي يمكن أن تدل عليها، فنجد في هذا التقسيم بعض أدوات العطف لا وجود لمعانيها من مكان بين هذه المعاني كـ "الفاء" التي تفيد الترتيب والتعقيب، و "ثم" التي تفيد الترتيب والتراخي و "بل" التي تفيد الإضراب .

ولا يخفى أنَّ كلما زادت أدوات العطف في النص ازداد النص تماسكاً وترابطاً؛ ولذلك سمّى "الوداعي" هذا النوع من الربط "الربط الدائري" أي أنَّه ينطلق من نقطة ليعود إليها بعد إكتمال الدائرة الدلالية.

2- الربط المباشر:

هو الربط القائم على غياب الربط الشكلي[2]، ويتمثل في علاقة البدل بالمبدل منه، والتوكيد بالمؤكد، والصفة بالموصوف، والتفسير بالمفسر، وهكذا كل ما يقوم على مبدأ الاتصال إذ يصير هذا التركيب كالكلمة الواحدة في شدة التماسك بينهما، وهو ربط دال على قوة الارتباط بين الجملتين، وكما يتحقق الربط المباشر بين المفردات يتحقق كذلك بين الجمل والفقرات.

وإلى هذا الربط أشار"الزناد" حينما وضع قاعدة "الربط البياني" وهي أنَّ ((كل جملتين متشابهتين في نص ثانيهما بيان للأول ترتبطان ارتباطاً مباشراً بغير أداة)).[3]

---

[1]- سالم المنظري، ص96 – 97.

[2]- الراودي زاهر بن مرهون، ص86.

[3]- الأزهر الزناد، نسيج النص، ص41 – 42.

وفيما يلي نمثل لبعض أنواع الربط المباشر:

أ- التبيين: من ذلك قوله تعالى: ((وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ/ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ))[1]، إذ بين المقطع الثاني المقصود من المشار إليه في المقطع الأول.

ب-التوكيد: ومنه قوله تعالى: ((ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ))[2]،إذ تكون وظيفة المقطع الثاني تقوية المقطع الأول.

ج-البدل: ومنه قوله تعالى: ((أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ / أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ))[3]، فالمقطع الثاني بدل بعض من كل في مقابل المقطع الأول.

د- التعليل: ومنه قوله تعالى: ((وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ))[4]، فالعداء الصريح البيّن من الشيطان لبني آدم كان سبباً في النهى عن اتباع خطواته[5].

التطبيق:

بعد أن تكلمنا عن معيار الربط وأدواته عند القدماء والمحدثين نعمد الآن إلى مجال تحليله في معاهدة الحديبية كالآتي:

الربط بالأداة:

شكّلت أدوات العطف ظهوراً كثيفاً في هذه المعاهدة لاسيما "واو" العطف منها، إذ وردت كالآتي:

الواو (23) مرة، والفاء (7) مرات، و(أو) لم ترد في هذه المعاهدة كذلك وردت عبارة (على أنه) معبّرة على معنى الاستدراك في العطف، ويلحظ من ذلك مدى حضور أدوات العطف في هذه المعاهدة وبالأخص الواو، الأمر الذي يحكم للنص تماسكه ويزيد من ترابطه وتضامّ

---

[1]- البقرة، الآية49.

[2]- البقرة، الآية2.

[3]- الشعراء، الآية132 – 134.

[4]- البقرة، الآية168.

[5]- مفتاح بن عروس، ص376.

عناصره بعضها ببعض، وكما هو معلوم كل ما زاد حضور أدوات العطف في النص، زاد تماسكه وترابطه.

ويمكن أن نستخلص من هذه الأرقام النتائج الآتية:

1- أخذت واو العطف النصيب الأكبر من حالات العطف، وذلك لما تتمتع به هذه الأداة من حرية في اتخاذ المعنى المناسب لسياق العطف كون عطفها مطلقاً، ثم أتت فاء العطف بعدها عبارة (على أنَّه) التي تفيد معنى الاستدراك في السياق، كما يصنفها علم النص.

2- قامت الواو في أغلب حالات العطف بدور مهم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه من خلال إشراكها في الحكم الإعرابي أو المعنى، ويتمثّل ذلك في مثل قوله: ((اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهنّ الناس ويكف بعضهم عن بعض))، إذ نحظ أنَّ جملة "يأمن" جاءت في محل نصب صفة لعشر النائبة عن ظرف الزمان، وعطف عليها جملة يكف محل التي أشركتها في الحكم الجملة التي سبقتها في محل نصب معطوفة.

3- استطاعت فاء العطف أن ترسم في النّص صورة تراتبية تعاقبية للصور التي وردت بها، فمن ذلك قوله: ((وانّه من أحبَّ أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحبَّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة، فقالوا...))، وقد دلت على سرعة حركة قبيلة خزاعة في إعلان انتمائهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وعهده، وهذا يجعل أحداث النص مطّردة ومتعاقبة.

4- استطاعت أدوات العطف مجتمعة أن تحدث التماسك في النص بين عناصره المختلفة وبالتحديد بين عدد من المحاور؛ وذلك من خلال الآتي:

أ- قيامها بجمع بنود الاتفاق بين طرفي المسلمين والمشركين؛ وذلك في قوله: ((يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنَّه من أتى محمد من قريش بغير إذن وليّه ردَّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممَّن مع محمد لم يردُّوه عليه... وإنه لا إسلال لا إغلال، وإنَّه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه))، فنلحظ أنَّ لأدوات العطف دوراً في لم شمل هذه البنود في نسق مترابط من غير الحاجة إلى تكرار بعض الألفاظ.

ب- قيامها بجمع شهود المعاهدة ويتمثل ذلك في قوله: ((أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل ابن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، ومِكرز بن حفص، وعلي بن أبي طالب))، ويُلحظ كيف قامت واو العطف بجمع شهود المعاهدة في نسق واحد.

هذا ويبدو واضحاً دور الربط بأداة العطف في تحقيق التماسك النصي من خلال حضورها الكثيف في النص وإسهامها الكبير في صنع الإيجاز في النص والبعد عن حشو الألفاظ.

ت- الربط المباشر:

كما عرفناه سابقاً هو الربط بين مقطعين من غير أداة رابطة وهو يعد دليلاً على قوة الارتباط بين المقطعين، وقد تجلّى هذا النوع في المعاهدة بشكل أقل عدداً من الربط بالأداة، وهذا أمر طبيعي في النصوص، إذ الربط المباشر ربط معقَّد لا يحكم سبكه إلا الخبير بسياقة النصوص، على حين أنَّ الربط بالأداة يتحصل بشكل شبه تلقائي في الصياغة بمجرد تعدد الأحداث والمفردات.

وسنأتي هنا بشرح مثال واحد لبعض صور الربط:

1- معنى التوكيد كما في: (فأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب / السيوف في القرب / لاتدخلها بغيرها)، يبين هذا النص حصول أكثر من توكيد.

2- التبيين والتفسير كما في: ((هذا ماصالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو/ اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين))، إذ نحظ أنَّ المقطع الثاني جاء مبيناً ومفسّراً وموضحاً لما أشارت إليه "ما" الموصولة في المقطع الأوَّل فكانا كمثل الكلمة الواحدة في تماسكهما على الرغم من طول تركيبهما، وكان هذا التبيين والتفسير، توضيحاً لما يدور في ذهن المتلقي من سؤال حول طبيعة هذا الصلح وأهم حقوقه وواجباته؛ ولذلك فقد أغنى التماسك الحاصل بين المقطعين عن توسط الرابط بينهما.

فالأوّل: جاء فيه مقطع "السيوف في القُرب " مؤكدا لمقطع "معك سلاح الراكب"؛ إذ أنَّ سلاح الراكب الذي يقصده المشركون يتمثل في السيف فقط دون غيره وكان بالإمكان أن تكون السيوف بدلاً من السلاح إلا أنَّ المشركين كانوا أخبث من ذلك، فقد عاجلوا الإيضاح بقوله: (السيوف في القُرب) أي نحن لا نقول لكم أجعلوا أسلحتكم سيوفاً حين عودتكم إلى مكّة العام المقبل، وإنّما أجعلوا سيوفكم في قربها أي: أغمادها؛ ومن ثم فإنَّه يفهم من قولهم تلقائياً أنَّ السلاح المقصود هو السيف.

والثاني: جاء فيه مقطع "لاتدخلها بغيرها" مؤكداً لمقطع "معك سلاح الراكب" إذ يفهم من المقطع الثاني مايفهم من الأوّل ولكنَّه جاء مؤكّداً له ولمَّا كان المقطعان متماسكين من هذا الطريق لم يحتج أن يتوسط بينهما رابط، وفي هذا التوكيد مدى حرص قريش على كسب رهان هذه المعاهدة وإضعاف حق المسلمين فيها وإحكام الضغط عليهم ومنعهم من مكة بقدر الإمكان.

وبهذا يتضح أنَّ الربط المباشر يمثّل جانباً مهماً من جوانب الاتساق في نص هذه المعاهدة، ويمثل مستوى أعلى في تحقيق التماسك النحوي من مستوى الربط بالأداة.

ثانياً- الاستبدال "substitution":

أ- تعريفه:

يعرّف الاستبدال بأنَّه عملية تتم داخل النص، يتم فيها تعويض عنصر بعنصر آخر، وهو علاقة اتساق تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أوعبارات، ويتقاطع الاستبدال مع الإحالة في كونهما علاقتي اتساق إلّا أنَّ الإحالة تقترب من المستوى الدلالي بحكم المرجعية الخارجية التي تؤول إليها في بعض الأحيان، أما الاستبدال فمرجعيته داخلية دائماً [1].

[1]- سالم المنظري، ص110.

كذلك أنَّ الاستبدال يحقق علاقة التقابل بين العنصر المستبدِل والعنصر المستبدَل، تقتضي هذه العلاقة إعادة التحديد والاستبعاد دون أن يلغي ذلك وظيفة الاتساق التي تقوم بها العناصر، أمَّا الإحالة، فإنَّها تمثل علاقة تطابق بين المحيل والمحال عليه[1].

ب-أقسام الاستبدال:

1-الاستبدال الاسمي:

ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية، كتبديل اسم باسم ويمكن أن يكون الاسم المستبدِل جزءاً من الاسم المستبدَل، وذلك كما في قوله تعالى: ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ))[2]، إذ جاءت "خير" بمثابة إعادة التعريف للفظ السابق "طعام" ويمكن في الاستبدال الاسمي أن يكون المستبدَل جزءاً من المستبدِل كقول القائل: أيّ نوع من القاطرات تريد التي بالصفارات أم التي بغيرها؟

2-الاستبدال الفعلي:

يمثله استخدام الفعل "يفعل" ويغلب عليه تجاوز حدود الجملة الواحدة؛ ليحقق بذلك الاتساق بين الجمل؛ مثل: (هل تظن أن المتنافس في التربية يحترم خصومه؟ نعم أظنّه فعل.)، فالفعل "فعل" استبدل جملة "يحترم خصومه" التي كان من المفروض أن تحل محله.

ومنه قوله تعالى: ((وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ))[3]، إذ استبدل العنصر "يفعل" بجزء مما ورد في الجملة وهو "تمسكوهنّ ضراراً لتعتدوا"، إذ عبَّر عن العنصر الأول الخاص بفعلٍ عام يكون مقابلاً له.

---

[1]- محمد خطابي، ص21.

[2]- البقرة، الآية61.

[3]- البقرة، الآية231.

3- الاستبدال القولي باستخدام" ذلك":

إنَّ الاستبدال بهذا المعنى شكَّل بديل في النص وهو وسيلة مهمة لإنشاء الرابطة بين الجمل، وشرطه أن يتم استبدال الوحدة اللغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة، إذ ينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين على شيء غير اللغوي نفسه، ومن هذه العلاقة يستمد قيمتها الاتساقية.

هذا وقد استطاع الاستبدال أن يحقق التماسك بين أجزاء النص من خلال طريقين:

الأوّل: استمرارية وجود معنى العنصر الأول "المستبدل" والعنصر الثاني "المستبدِل" أي أنَّ معنى "طعام واحد" الوارد في الآية الكريمة عند التمثيل الأوَّل في الاستبدال الاسمي ظلَّ موجوداً في العنصر المستبدل "خير" وإن كان بلفظ عام إلا أنَّه المقصود به؛ ومن ثمَّ فإنّ الاستبدال يحقق للمعنى الاستمرارية عبر أجزاء النص.

الثاني: لايمكن إدراك معنى العنصر الثاني دون العودة إلى العنصر الأوَّل، فكما ذكرنا أنَّ لفظة "خير" عامة، ولايمكن إدراك المقصود منها إلا بالرجوع إلى السياق السابق عليها؛ ومن ثمَّ فإنَّ النص بهذه الطريقة يكون مترابطاً ومتلاحمة أجزاؤه.

التطبيق:

بعد أن عرَّفنا الاستبدال وعرفنا أنواعه وأهميته نعمد الآن إلى تطبيقه في المعاهدة ونجد ظهوره في المعاهدة كما في الجدول الآتي:

م	العنصر المستبدل	العنصر المستبدل منه	نوع الاستبدال	المرجعية
1	نحن في عقد محمد وعهده	فتواثبت خزاعة فقالوا	جملي	بعدية
2	نحن في عقد قريش وعهدهم	فتوثبت بنو بكر فقالوا	جملي	بعدية
3	أشهد على الصلح	كل الصلح المدوّن بدءاً بقوله: "اصطلحا" إلى قوله:"تدخلها بغيرها"	جملي	قبلية
4	أبوبكر الصديق	أشهد على الصلح رجالاً من المؤمنين ورجالاً من المشركين	جملي	قبلية

من خلال الجدول أعلاه نلحظ أنَّ إحالات الاستبدال الواردة في النص متساوية، فقد وردت كل واحدة منهما ـ القبلية والبعدية ـ مرتين، كما نلاحظ سيطرة الاستبدال الجملي على النص على الرغم من قلة وروده، إلا أنَّه قدَّم دوراً قوياً في تماسك النص؛ وبهذا يتضح لنا أنَّ معيار الاستبدال أسهم اسهاماً كبيراً بجانب المعايير النحوية الأخرى في تماسك نص المعاهدة المقيس عليه، وفي إيجاد علاقة متينة في السبك بين أجزائها من خلال العلاقات التركيبية النحوية.

خاتمة

بعد أن طبق الباحث معيار الاتساق في النص بالوسائل المشار إليها في متن الدراسة وبعد إمعان النظر فيها والتحليل، خرجت هذه الدراسة بجملة من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولاً- النتائج:

1- أن معاهدة الحديبية على الرغم من قصرها استوعبت كافة أشكال الربط النحوي أو السبك النحوي مما يثبت صحة نظرية علم النص وشرعيتها وأثبتت الدراسة التطبيقية أنَّ أثر أدوات التماسك النحوي لاتقف على ماتحدثه من تماسك النص، بل يتعدى ذلك إلى أنَّه وسيلة إقناعية تسهم في ترابط النص دلالياً.

2- يمكن اعتبار لسانيات النص أحدث فروع علم اللغة، ويعد مرحلة انتقالية من محورية الجملة في الدراسة إلى اعتبار النص الوحدة المركزية، لأنه لايمكن فهم المعنى دون سياقه الذي وضع فيه.

3- هناك اختلاف كبير في تحديد مفهوم النص إذ اكتسى دلالات مختلفة نتيجة لتعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية مما أدَّى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنص يجتمعون عليه.

4- وكما وقع الاختلاف في مفهوم النص كذلك نجد أنَّه قد وقع خلط بين المصطلحين الأساسيين في لسانيات النص "الاتساق والانسجام" لكن يكاد يجتمع الباحثون على أن الاتساق يتحقق في ظاهر النص بالنظر في الأدوات الشكلية والروابط النصية التي تساهم في تعالق الأجزاء والوحدات المختلفة للنص، أما الانسجام فهو مجموع العلاقات الخفية التي تحقق التماسك الدلالي، وهذا ما يؤدي بالباحث إلى الاعتماد على عناصر غير نصّية تساعده على كشف هذا الترابط من خلال السياق ومعرفة البنية الخطابية والمناسبة بين المقاطع.

5- يشير استحواذ قريش على أغلبية ضمائر المتكلم والتي بلغت نسبة (66%) في هذه المعاهدة إلى أنها كانت في اثناء كتابة المعاهدة تتكلم باسمها لتحصل على النصيب

الأكبر من حقوق هذه المعاهدة ولا تلتزم إلا بالواجبات الأقل، على الرغم من أنَّ المعاهدة تلزم كل طرف بحقوق وواجبات ليحصل اتفاق موضوعي بين الطرفين.

6- أظهرت الإحالة قدرة كبيرة على الربط بين أجزاء نصّ المعاهدة وبرز جليًّاً أن الإحالة الضميرية كانت مسيطرة على أجواء نص المعاهدة نظراً لكثرتها فيها.

ثانياً- التوصيات:

1- يوصي الباحث بتوجيه دراسات علم النص التطبيقية لخدمة القضايا التاريخية والسياسية والاجتماعية المهمة من خلال تحليل النصوص المنطوقة والمكتوبة واستقرائها واستنباط المدلولات التي يتوصل إليها التحليل النصي.

2- تطبيق جميع أدوات الترابط النصي السبعة على هذه المعاهدة للوصول إلى نتائج أكثر في هذا المجال.

فهرس الآيات

الرقم	الآيـــة	الســورة	رقم الآيـة	رقم الصفحة
1	قال تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)	البقرة	2	49
2	(إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ {14} اللّهُ يَسْتَهْزِىء بهم)	البقرة	15-14	47
3	(اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ)	البقرة	15	47
4	(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)	البقرة	49	49
5	(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ ... قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)	البقرة	61	53
6	(وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)).	البقرة	168	49
7	((وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوف... يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)).	البقرة	231	53
8	((أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ {132}أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ {133} وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)).	الشعراء	133.132	49
9	((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا)).	لقمان	7	46
10	((قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا)).	الحجرات	14	39
11	(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)	الإخلاص	1	41
12	((فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ* وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ {17} وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ)).	الانشقاق	16- 18	14
13	((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...)).	فصلت	44	ب

فهرس الأحاديث

الحديث	الراوي	رقم الصفحة
فجاء زوجها يسوق أعنزاً ما تساوق	أم معبد	23

فهرس الأشعار

الشاهد الشعري	قائله	رقم الصفحة
نحن بما عندنا وأنت بما عنـ *** دك راضٍ والرأي مختلفٌ	قيس بن الخطيم	34
وبعض قريضِ القوم اولاد علةٍ *** يكدّ لسانَ الناطقِ المتحفظِ	خلف الأحمر	9
وقبرُ حربٍ بمكان قفرٍ *** وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ	مجهول	9

المصادر والمراجع

أولا- القرآن الكريم.

ثانياً- المصادر والمراجع:

1- إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005م.

2- أحمد الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، (دراسة تطبيقية للتناص في رواية . رؤيا . لهاشم غرايبة، وقصيدة . راية القلب .،لإبراهيم نصر الله)، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2 2000م.

3- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م.

4- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصاً،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.

5- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (الزمخشري)، أساس البلاغة، تح: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 1998م.

6- جمعان عبد الكريم، إشكالات النص (دراسة لسانية نصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2009م.

7- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، www.alukah.net.

8- جوليا كرستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1997م

9- خليل ابن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2009م.

10- زاهر بن مرهون الراودي، الترابط النصي بين الشعر والنثر، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان 2010م.

11- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء تر: تمام حسان، القاهرة عالم الكتب، ب ط، 1998م.

12- سالم بن محمد المنظري، الترابط النصي في الخطاب السياسي، دراسة في المعاهدات النبوية، ط1، بيت الغشام للنشر والترجمة، عمان، مسقط.
13- سعيد بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
14- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية للترجمات، الجيزة، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ط1، 1997م.
15- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، 1988م.
16- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000م.
17- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 2004م.
18- عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1987م.
19- عبد بليع، السياق و توجيه دلالة النص، بلنسية للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
20- عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط2، 2000م.
21- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ب ط، 1998م.
22- أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (الجرجاني)، صححه الشيخ محمد عبدة وآخرون، دار المعرفة، بيروت، 1998م، ط 2.
23- عبد الملك مرتاض،النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ب ط، 1983م.
24- أبو عثمان عمرو ابن بحر (الجاحظ)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985م.
25- عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، تقديم: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009م
26- عمرو ابن عثمان بن قنبر (سيبويه)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م.

27- عوض الغباري دراسات في أدب مصر الاسلامية، دار الثقافة العربية، ط1، القاهرة، 2003م.

28- فولفجانج هاينة مان، وديتر فيهيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: سعيد بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

29- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي النصي، تر: سعيد بحيري ، مؤسسة المختار، القاهرة ، ط1، 2005م.

30- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى تر: محمد الراضي،المنظمة العربية للترجمة،، بيروت، ط1.

31- ماري نوال غاري بربور، معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، ط1، سيدي بلعاس، الجزائر،2007م.

32- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 2008م.

33- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ط4، دار صادر، بيروت، 2005م.

34- محمد خطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.

35- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ط1، المؤسسة العربية للتوزيع تونس، 2001م.

36- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ط1، الأ كاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005م.

37- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالية للنشر "لونجمان" ط1، القاهرة.

38- محمد عزام، النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي) منشورات اتحاد الكتاب العربي، ط1، دمشق، 2001م.

39- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ط1، دار قباء، القاهرة

40- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ط1، الشركة المصرية العربية للنشر لونجمان، مصر، مكتبة لبنان، ناشرون، 1997م.

41- مصطفى ناصف، اللغة والبلاغة والميلاد الجديد، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت، 1992م.
42- نبيلة إبراهيم: القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال)، مجلة فصول، ع1، 1984م.
43- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث،عمان، 2009م.
44- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، بدون، 1997م.
45- ابن هشام، السيرة النبوية، تح: سيد إبراهيم، وآخرون، دار الحديث، للطبع والنشر والتوزيع، 2006م.
46- يسرى نوفل،المعايير النصية في السور القرآنية (دراسة تطبيقية مقارنة) دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، 2014م.

ثالثاً- المقالات والبحوث الجامعية:

1- إبراهيم محمود خليل، السياق وأثره في الدرس اللغوي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية،1411هـ . 1990م.

2- تمام حسان، مقال قرينة السياق، الكتاب التذكاري لكلية دار العلوم، مطبعة عبير للكتب، ط1، القاهرة، 1993م.

3- رولان بارت، من العمل إلى النص، ضمن كتاب آفاق التناصية، ط1.

4- صبري حافظ، التناص وإشارات العمل الأدبي، مجلة البلاغة المقارنة، ع4، 1984م.

5- طروس الأدب على الأدب، مقال جيرار جينيت، ضمن كتاب "آفاق التناصية"، المفهوم والمنظور، تر: محمد خيري البقاعي الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ط1 ، 1998م.

6- عبد الرحمن بيسو، قراءة النص في ضوء علاقاته بالنصوص الصادرة ، مجلة النقد الأدبي "فصول"،1997م، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

7- مارك أنجينو، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره، مقال ضمن كتاب " آفاق التناصيّة"، ط1.

8- محمد مفتاح، النقد بين المثالية والدنامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، ب.ط.

9- محمود بوستة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف،، بحث ماجستير – الجزائر، 2008م-2009م.

10- مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر، 2008م.

11- هناء دادة موسى، الاتساق والانسجام ومظاهرهما في قصيدة "بطاقة هوية " لمحمود درويش، رسالة ماجستير، 2014م . 2015م.